ألغاز الشروق

سر القطط المتوحشة

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة


سرّ القطط
المتوحّشة

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

لم يتوقع « إسماعيل» أن تحدث له تلك الحوادث المروعة فى تلك الليلة .

فهو يسلك نفس الطريق كل ليلة عند عودته من عمله ، متجها إلى بيته . منذ أكثر من خمسة عشر عاما .

كانت الساعة آنذاك قد بلغت العاشرة والنصف مساء . وفى مثل هذه الساعة ، فإن الحركة فى شوارع مدينة «تيرانا» ، عاصمة البانيا ، تبدو عادية ، ولايمكن لأحد أن يتصور أن شخصا ، يمكن أن يعكر صفو هذه المدينة .

لم ينتبه « إسماعيل» إلى ذلك القط الأسود الذى يقف متربصا فى جانب من الرصيف إلا عندما سمع صوت حركة . التفت إليه ، وكاد أن يتجاهله ، لولا أن رأى لمعانا غريبا فى عينيه .

أحس الرجل بالخوف ، وراح يعجل خطاه . ثم التفت إلى

القط الأسـود فوجـده لايزال ينظر إليـه بعينيه الـلامعتين . فزادت حدة خـوفه ، وفكر أن يجرى . لكنـه انتبه إلى أنه يمشـى فى شارع طويل ، وأنه لاشـىء يدعو إلى القلق من مجرد قط أسـود ينظر إليه بعينين لامعتين .

تنبه « إسماعيل» إلى أنه يحمل معه لفـافة من اللحم ، من أجل العشاء . فقال لنفسه :

ـ لعله شم رائحة اللحم .

وانتبه «سماعيل» أن القط قد راح يتتبعه فوق الرصيف ، فعجل خطاه، لكـن القط راح يتحـرك بسرعة أيضـا ، وهو يكـاد يقترب منه، ثـم أطلق مـواء غريـب الإيقاع . فـارتجف . وأدرك أن القط الأسود يود الاستيلاء على طعامه بأى ثمن .

راح يبحـث عـن سيارة أجـرة . لكـن القـط أرسل مـواءه مـن جديد. ثم راح يكشر عن أنيابـه . وكان هذا وحده كفيلا أن يجعل كـل الرعـب يسرى فى أعماق إسماعيل ، فقـد بـرزت أنياب القـط الطويلة، مـن أعلى وأسفل، كأنه يستطيع أن يغـرسها فى لحم ثور بالـغ القوة . ولشدة خـوفه ، فإن اللفـافة سقطت منـه ، وبسرعة انقض القط نحوها ، وراح يفترسها ، كأنه لم يأكل منذ عدة أشهر

وانتهز إسماعيل انشغال القط عنه بالتهام اللحم ، وأطلق لساقيه العنان ، فانطلق يبحث عن أى مهرب له من هذا الحيوان الغريب الذى لم ير مثل أنيابه العجيبة من قبل .

وبعد قليل وجد نفسه فى ركن من شارع جانبى أكثر هدوءا ، فاستند إلى جدار الحائط ، وراح يتنهد بارتياح شديد، وهو يردد :

ـ فليذهب اللحم إلى آخر الدنيا! المهم أننى نجوت بنفسى !

وأغلق عينيه ، متنهدا بصوت عميق ، ثم فتحهما مرة أخرى ، واستعد لاستكمال طريق العودة إلى المنزل ، وقرر أن يتجه إلى شارع رئيسى آخر، حيث تخيل أنه لو عاد إلى نفس الشارع فإن القط الأسود سوف يظهر له مرة ثانية .

وتوجه نحو طرف الشارع الجانبى، ولكنه قبل أن يصل إلى طرف الشارع رآه من جديد . إنه يقف هناك كأنه ينتظره ، ارتعد، والتفت خلفه ، وقرر أن يهرب ، فلاشك أن القط يود أن يفترسه هذه المرة بعد أن التهم اللحم .

لم يفكر فى مهاجمته ، وأسرع يجرى نحو الطرف الآخر للشارع .

وبينما هو يجرى بكل قوته سمع مواء القط ، إنه مواء غريب ،

مزعج ينبىء عـن شر قادم، فأطلق لساقيه العنـان أكثر ، والتفت فجـأة خلفه ، ووسـط الظـلام رآه يجرى وراءه . . بـدا القط كـأنـه يسابـق الريح . . قبل أن يقفـز بكل قوته فى الهواء . . كـى ينقض عليه .

(٢)

تعددت البلاغات فى أقسام شرطة مـدينة «تيرانا» حول القطط السوداء التـى تلمع عيونها لمعـانا غـريبا والتى تهاجـم المارة ليلا فى قلـب العاصمـة وضواحيهـا . وأكـدت تلك البـلاغات أن هـذه القطط تبـدو طبيعية للغـاية ، ولكنهـا ، فى داخل أفـواهها أنيـاب طويلة تشبه أنياب مصاصى الدماء .

فى البداية كـانت البلاغات متفرقـة وعادية ، وأكد الذيـن قاموا بالكشـف عن الجرحى الـذين هـاجمتهم القطط السـوداء أن الأمر لايدعـو إلى القلق وأن بعض القطـط قد أصابها السعـار. ويمكن التخلص منها بسهولة .

ولكن البـلاغات زاد عددهـا ، حتى وصلت إلى ٢٠٠ حـالة . وأكد الضحـايا أن القط يظهر فجـأة فى الشارع ، ثم ينطلـق بسرعة

صفحة فارغة

الريـح نحو أى مـار فى الشارع وينشب بـأنيابـه فى الرقبـة ويعضه بقسوة .

وساد الرعب فى المدينة . واضطرت قوات الأمن إلى تعزيز رجالها ليلا ونهارا وحدث أن صدرت الأوامر بإطلاق النيران على أى قط فى المدينة مهما كان لونه أو حجمه أو عمره .

واختفت القطط بعض الوقت ثم عادت للظهور مرة أخرى .

وكانت لعودة ظهورها حكايات حيث خاف الناس من الخروج إلى المدينة ليـلا ، وقيل إن القطـط لاتظهر نهارا ، وتبـدو « تيرانا » فى النهار خالية تماما من كل أنواع القطط .

حتى إذا غـابت الشمـس بدأت فى الظهـور فى أماكـن متفرقـة حيث يفـاجأ بها الشخـص وسـط الظـلام وتبـدو أمامـه الغنيمـة واضحة عيونها اللامعة . وتبدأ المأساة حيث ينطلق القط بأسرع من الريح ليهاجم ضحيته .

وكان أكثـر ما أثار المدينـة ، هو أن أحد أفـراد الأمن قد فـوجئ بأحـد القطط يهجم عليه ، ولم يتمكـن من إطلاق رصاصـة واحدة من بندقيته رغم أنه أحد أمهر مطلقى النيران فى المدينة .

وساد الـرعب فى المدينـة . . خاصة فى بيـت العريـف « أدهم »

الذى كـان عليه أن يتولى الحراسة فى نفـس المكان الذى هاجـم فيه أحد القطـط الحارس السابق . . وفى ليلـة خروج « أدهـم » للعمل بدا المنزل فى حالة حداد ، وتخيـل ابناه «عمرو» و«فاطمة» أن أباهما لن يعود حيا فى الصباح .

وطوال الليل لم ينم أفراد الأسرة جميعا . وعندما أشرقت الشمس راحوا ينتظرون عودة الأب ، لكن الساعات مرت ولم يظهر الأب فى الأفق .

وعندما خرجت الأسرة للبحث عنه لم يلمحوه فى الطريق .

وفى قسـم الشرطـة كـان هناك ارتبـاك واضـح ، فقـد اختفـي «أدهـم» مـن مكان خدمتـه ، ولم يترك وراءه سوى بندقيتـه وبعض نقاط الدم .

وساد الجزع أفراد الأسرة ، فترى ماذا حدث للأب ، هل مات؟ وأيـن اختفت جثتـه؟ أم أنه لايـزال على قيد الحيـاة؟ وهل القطـط السوداء وراء اختفائه الغامض؟

وطوال يـومين لم تكن هنـاك إجابـات محددة عن هـذه الأسئلة وغيرها .

(٣)

إنه خبر مثير حقا . ! !

ردد « حب حب » وهو يستمع إلى ابنة عمه « حبيبة » فى الهاتف والتى راحت تقرأ عليه ذلك الخبر الغريب الذى نشرته الصحف عن القطط السوداء اللامعة العيون التى تهاجم المارة وتنقض عليهم كى تفترسهم .

لم يكن « حب حب » قد قرأ الصحف بعد ، وفوجئ بابنة عمه تسأله :

ـ مارأيك؟

بدا سؤالها غريبا وكأنها تقصد من ورائه شيئا ما . سألها بدوره :

ـ ماذا تقصدين؟

ردت : نسافر إلى « تيرانا» . .

انتابت الدهشة « حب حب» ليس فقط لأن « حبيبة» تدعوه إلى السفر، بل هى تتكلم بضمير الجمع « نحن» ، وكأنها تقترح عليه أن يذهب معها من أجل كشف سر هذه القطط .

قال «حب حب» : هذه ليست مهمتنا . . إنها مهمة رجال الأمن فى «ألبانيا» ، ثم إنه ليس لنا أصدقاء من نادى المراسلة الدولى هناك .

قالت «حبيبة » على الطرف الآخر من الهاتف : من قال هذا . ؟ أنا لم أقرأ لك بقيـة الخبر . . لقد اختفى أدهـم . والد صـديقتى «فاطمة» .

أحسن « حب حب » كأن ابنـة عمه تبالغ ، أو أنها تكذب على أكثر تقدير، فكيف يكون لها صديقة فى « البانيا» وهى التى ليست عضوا حتى الآن فى نادى المراسلة . بـدت «حبيبة» كأنها تقرأ أفكار ابن عمها ، فقالت :

ـ نحـن نتراسل بـاللغة العـربية . إنها مسلمـة وتتكلم العـربية مثلنا .

وراحت تحكى لابن عمها أنها أخـذت عنوانها من أحد البرامج الإذاعية التى تهتـم بالمراسلة فبدأت تكتب لها الخطابـات ، وهاهى ستـة أشهر مـرت على أول رسـالـة بينهما ، ولايكاد يمـر أسبوع إلا وتصل منها رسالة وترسل لها ردًا عليها .

أحس « حب حـب» بالفرحة ، فهاهى ابنـة عمه تتقدم وتحاول أن تفعـل شيئـا مـن أجل أن تكـون أفضـل . سكتـت قليـلا على الهاتف ، ثم قالت :

ـ اشتقت لركوب طائرتك .

وأحس « حب حب» أن ابنة عمه قد استعذبت المغامرات ، لكنه قال :

ـ أنا لا أذهب إلى رحلة إلا إذا استدعت الظروف ذلك ، أو إذا دعاني صديق .

ردت « حبيبة » بحماس :

ـ يا ابن العم . . لماذا تنتظر أن تأتيك المغامرة . . لماذا لانقتحم نحن المغامرة !

وأحس « حب حب » بالانزعاج ، فهاهى ابنة عمه تضع تقليدا جديدا للمغامرة . هو ألا ينتظرها أن تأتي له ، بل أن يقتحمها .

ردد وهو يشعر بشىء فى أعماقه :

ـ آه « ياحبيبة » . . أخشى عليك من هذه الروح الحماسية . . إنها خطرة .

(٤)

فجأة انطلقت القطط فى البرارى . بدت كأنها خرجت من جحور خفية منتشرة فى أنحاء الجبل . .

وانتشرت فى طريقها كـأنها تعرف جيدا مايجب عليهـا أن تفعل وراحت تزحـف فى سكون الليل نحو أطراف المدينـة حتى وصلت إلى مشارفها فتسللت إلى دروبها دون أن يتمكن أحـد من رصدها ، وكيف يمكـن لاحد أن يراهـا وهى تتحرك بخفـة منقطعة النظير . فتبدو كأنها مـدربة جيدا على مهام يجب عليهـا القيام بها . . فهى حين تجرى نحو المدينة لاتسير فى خطوط مستقيمة وإنما تبدو كأنها تسير فى منحنيات متشابكة ، لكنها رغم هذا تعرف طريقها جيدا .

. وما إن تسللت داخـل المدينة حتى راح كل قط يختار لـه مكانا يرقب منه الحركة بسهولة ، ويبـدو كأنه يتحين الفرصة كى يصطاد فريسته ثم عليه أن يهجم فوقها فى الوقت المناسب ، بعد أن يحدث فيها الرعب الكافى كى تفقد هذه الفريسة كل مقاومة .

فكما حدث لإسماعيل فإن الضحية تفاجـأ بظهور القط أمامها يرمقهـا بعينين حمراوين تشعان رعبـا ووحشية ، ولايملـك الضحية سوى أن ينظر مـن جديد إلى القط كـى يتأكد منه لأول مـرة . وهل هناك شيء مخيف إلى هذه الدرجة ؟

وما إن يلتفت الضحية مرة أخرى نحو القط حتى تبدأ مقاومته فى الانهيار ، وغالبا مايفكر فى الجرى والنفاد بجلده ، وبذلك يتيح

فرصة لمهاجمه أن يناله، فالقط لايهاجم سوى من يهرولون خائفين من أمامه وعندما يولون الفرار ، فإنهم يكونون أضعف مايكون .

أما الحارس الذى هاجمه القط فقد جرى أيضا وهرول بعيدا عن مكان حراسته، وبذلك أتاح فرصة للقط أن يهاجمه ويغرس أنيابه الأربعة الطويلة فى جسده .

إنه ليس قطا واحدا ذلك الذى يهاجم المدينة. بل هو أكثر من قط ، بل هى مجموعة من القطط تأتى من البرارى . ويبدو اليوم أنها قد جاءت لتشن هجوما شرسا على مدينة «تيرانا» .

فعلا إنه هجوم شرس ومنظم، ويبدو أن القطط المتوحشة أرادت أن تؤكد قوتها خاصة فى تلك الليلة التى احتشدت فيها قوات الأمن الألبانية فى أنحاء المدينة لشن غارة على القطط .

وعندما دقت الساعة اثنتى عشرة دقة معلنة منتصف الليل فى المدينة، بدا رجال الأمن كأنهم على موعد مع معركة شرسة لاحدود لشراستها مع قطط غريبة السلوك، رغم أن شكلها أشبه بكافة القطط الموجودة فى كل المدن .

فقد فوجئت إحدى الدوريات بثلاثة قطط تقف ساكنة فى ركن الشارع تنظر إليهم بعيونها الحمراء، وقبل أن يأمر قائد الدورية بإطلاق النيران صاح أحد الجنود :

ـ انظر . . . إنهم ستة قطط .

وفجأة صاح جندى آخر: بل هم عشرة قطط . ! !

وهتف جنـدى ثالث : إنهم قطط كثيرة . . أطلقـوا النيران قبل أن يهجموا علينا .

وحدثت بلبلة عندما صرخ جندى : بل الأفضل أن نهرب . . اهربوا ياجنود . .

(٥)

اكتشف « حـب حب» أن معلـوماته عـن البانيـا قليلة للغـاية قياسا إلى مايعلمه عن دول كثيرة فى العالم ، ولذلك فليس له فى هذا البلد الأوربى أى أصدقاء ولا أعضاء فى نادى المراسلة الدولى .

وراح يراجع « الكومبيوتر الخارق» الذى يمتلكه فى معرفة المزيد عن البانيا ، التى تقع على البحـر الادرياتيكى ، ذلك البحر الذى يقع بين إيطـاليا ويـوغسلافيـا (سابقـا) وتحدها مـن الشرق دولتا اليونان ومقدونيا ، ومن الشمال يوغسلافيا ، وتبلغ مساحتها ٢٨,٧ ألـف كيلـومتر مربـع . وهـى بـلاد جبليـة تقع بها جبـال الألـب الجليدية ، وهى بلاد باردة فى الشتاء وتشكل الغابات فيها ٣٥٪ من

مساحتها، ويسكنها حوالى ٣ مـلايين نسمة أغلبهم من الألبانيين واليونـانيين وعاصمـة البلاد هـى «تيرانا» ، أمـا أهم المدن فهنـاك «شكورو»، «والياش» ، والـديانة الغالبة هناك هـى الإسلام حيث إن المسلمين يمثلون ٧٠٪ من السكان .

وعن تاريخ البانيا فقد عرف « حب حب» أن الاتراك قد وصلوا هناك عـام ١٣٨٥ . . . وقد وصلت القـوات المصرية بقيـادة محمد على فى القرن التـاسع عشر . وعنـدما ظهرت الشيـوعية فى البـانيا وقعت تحت سيطرة الشيـوعيين وعاشت معزولة عـن العالم سنوات طويلة، وفى الفترة الأخيرة بدأت تشهد انفتاحا محدودا على العالم .

وكان رامز عليا من أهم حكام البانيا فى القرن العشرين ، وعرف «حب حـب» أن البانيـا تحتفل فى الحادى عشر من ينـاير كـل عام بعيد إعـلان الجمهورية الـذى أعلن عام ١٩٤٦ . وهنـاك احتفال آخـر هام فى ٢٢ نـوفمبر يمثـل عيد الاستقـلال الـذى تم فى عـام ١٩٤٤ .

قال « حب حب» لابنة عمه التى تركب معه نفس الطائرة :

ـ هل كنت تعرفين مثل هذه المعلومات عن البانيا؟

ويبدو أنها كـانت تنتظر أن يسألها هـذا السؤال ، فأخرجـت له

كتابا باللغة العربية وقالت :

ــ أراهن أن هـذا الكـومبيوتـر المغـرور ليست لـديـه كل هـذه المعلومات التى فى هذا الكتاب . فمعلومـات الكومبيوتر مكثفة أما هنا فتفصيلية .

وراحت تحدثه عن ماتعرفه عن البانيا فسألته :

ــ هـل تعرف أن على علم البانيـا طائرا قويا مثـل صقرك الذى يطير وراءنا كأنه يحرسنا؟

وهنا أدرك « حنب حـب » أن المعلومات التى تظهـر على شاشة الكومبيـوتر تكـون غير ملونـة ، فاللـون الأحمر كما جاء فى الكتـاب الذى مع « حبيبة» يغلب على العلم الألبانى ، هنا قالت « حبيبة» :

ـ وهل تعـرف أن الزراعة هى المهنـة الغالبة لدى سكـان البانيا رغم أن الزراعة ملك الدولة حسب القانون الشيوعى .

رد « حـب حـب » : هـذه المعلـومات مـوجـودة على شـاشـة الكومبيوتر بدليل أن القطن والدخان من المحاصيل الأساسية .

قالت وكأنها تدخل معه فى مباراة خاصة :

ـ ماذا يا أستاذ . . هل تعتمـد على الكومبيوتر ولاتقرأ . . ماذا يا أستاذ . . العلـم فى الرأس وليس فى الكراس .

وراح « حب حب » يضحك من طريقتها فى الكلام. فتركها تقرأ الكتاب وراح يفكر فى القطط السوداء التى جاء من أجلها فى هذه المغامرة.

(٦)

راح القط ينظر بعينيه الحمراوين إلى ذلك الفتى الغريب الذى ارتدى سترة ثقيلة وبدا كأنه تائه فى تلك المدينة التى أغلقت أبوابها فى مثل هذه الساعة من الليل.

بالتأكيد إنه شخص غريب على المدينة لأنه لايعرف أن « تيرانا » أصبحت مدينة خطرة فى مثل هذه الساعة. وقف القط الأسود ينظر إلى الفتى وتوقع منه أن يلتفت إليه مرة ثانية، قبل أن يشرع فى الجرى، لكن « حب حب » نظر مرة أخرى إلى القط، ولم يبد عليه أنه شعر بأى خوف.

انتاب القط غضب ففتح فمه وكشف عن أنيابه الأربعة الطويلة وراح يموء بطريقة تثير الخوف. لكن « حب حب » ابتسم فى سخرية واضحة، ونظر إلى القط وكأنه يقول له:

ـ قديمة!!

ومـرة أخرى أطلـق القط الأسـود مـواءه المرعب . وارتكـز على قدميـه الخلفيتين كأنه يستعد للقفـز على الصبى وقد عـلا مواؤه . ورغم أن منظر القط كان يثير الخوف فإن « حب حب» قد تماسك بشكل واضـح ، ووقف فى مكـانه كـأنه ينظـر إلى حيوان متوحش أمكـن استئناسـه ووضعـه فى قفص حـديـدى بحـديقة حيـوان ، ولايمكنه مهما أطلق من أصوات أن يخترق القفص .

بدا على القـط أنه ينتظـر من الفتى أن يهرول جـاريا ، وبـالتالى يسهل اقتناصه ومهاجمته ، ولكن الدهشة أصابته ، فهل يهاجمه دون أن يجرى أم يتراجع ؟

لم يكن هنـاك أى سبب يـدعو القط للتراجـع فقد تحفـز للقفز وبكل موائه المرعب ملأ الشارع الخالى وقفز مرة واحدة فى الجو نحو «حب حب» .

ولكن فجـأة قبل أن ينحـرف « حب حب» بمهـارة جانبـا عن المكان الذى قفز إليه القط هبط الصقر الذهبى من أعلى وبكل قوة انقـض على القـط ورفعه بمنقـاره وارتفـع بـه إلى أعلى وتركـه يمـوء بوحشيـة بينما ظهر بعض رجـال الشرطة واستعـدوا لإطلاق النيران على القط ، لكن « حب حب» أشار بيديه وصاح :

ـ اتركوه . . إنه يعرف جيدا ما عليه أن يفعله .

وفى الجو لم يتوقف القط عن المواء المتوحش كأنه يطلب النجدة من زملائه القطط ، أو لعله يتهدد الصقر الذى اختطفه أنه إذا أمسك به بمخالبه المفترسة فستكون نهايته مأساوية .

(٧)

كان كل شىء معدًا سلفا وبإتقان شديد . .

فما إن وصل « حب حب » إلى مدينة «تيرانا» حتى توجه لتوه مع ابنة عمه إلى بيت صديقتها « فاطمة» التى لم تصدق عينيها قط أن صديقتها يمكن أن تأتى ، خاصة فى مثل هذه الظروف العصيبة التى تشهدها أسرتها .

راحت « حبيبة» تواسى صديقتها ثم راحت تعرفها على ابن عمها «حب حب» الذى حاول أن يتفاهم بأى طريقة مع « فاطمة» لكنها لم تكن تعرف أى لغة أخرى غير الألبانية . وعندما جاء شقيقها عمرو بدا هو الآخر لايتكلم أى لغة أخرى غير لغة وطنه .

وعن طريق الإشارات بدأ التفاهم بين «حبيبة» والأسرة الألبانية المنكوبة فى عائلها العريف « أدهم» الذى اختفى بعد أن هاجمته

القطط المتوحشة أثناء نوبة حراسته . وحاول « حب حب» أن يجعل «عمرو »وأخته « فاطمة» يساعدانه فى الوصول إلى رجال الأمن . .

وبعد وقت طويل من التفاهم بالإشارات . كان على «حب حب» أن يتصل بمديرية الأمن ، وبعد قليل التقى بالضابط «صاروخان» المسئول عن مكافحة القطط المفترسة .

فى بداية الأمر بدا الضابط مندهشا من هذا الفتى الصغير القادم من الطرف الآخر من البحر المتوسط ، ويقدم للحكومة الألبانية خير المساعدة فى التعرف على أسرار هذه القطط الغامضة ولكن ما إن جلس مع « حب حب» وراح يريه كيف يعمل الكومبيوتر الخارق وأيضا المقدرة الفائقة التى تتمتع بها حقيبته التى تتحول إلى طائرة ذات إمكانات متفوقة عند فتحها ، هنا قال الضابط :

ـ بلادنا التى انغلقت على نفسها سنوات طويلة فى حاجة إلى أصدقاء مثلك .

قال « حب حب » :

ـ أتمنى عندما أغادر البانيا أن نجد عضوا جديدا ينضم إلى نادى المراسلة .

وبدأت صداقة حميمة تتولد بين « حب حب » والضابط «صاروخان» الذى يجيد التحدث باللغتين العربية والإنجليزية والذى قال :

ـ تمسكى بدينى أنا ، وأسرتى طوال سنوات الحكم الشيوعى جعلنا نحافظ على اللغة العربية ، فقد كنا لانكف عن تلاوة القرآن

فى تلك اللحظات كان الليل قد بدأ يحل على مدينة « تيرانا» وكان « حب حب » قد ترك ابنة عمه فى منزل صديقتها. أحس «حب حب» أن الوقت قد حان لتنفيذ خطته التى اشترك فى وضعها مع «الكومبيوتر الخارق» فراح يشرحها بلغة بسيطة للضابط الذى نظر إليه فى دهشة قائلا :

ـ الخطة مقنعة . لكن حسب التحريات لم نعرف أن شخصا استطاع الفرار من أمام القطط المفترسة .

قال « حب حب» : دعنى أختبر قوة أعصابى . .

ويبدو أن « حب حب» نجح فى هذا الاختبار . لكن لا أحد يعرف إلى أين تسير الخطة بالضبط ، خاصة بعد أن اختفى الصقر وقطه المفترس الذى أمسكه من قفاه بمخلبه، وطار به إلى الجو فى مثل هذه الساعة من الليل .

(٨)

ارتفع به الصقر فى السماء المظلمة . فلم يكن هناك قمر فى تلك الليلة فى السماء . لذا بدت الأجواء مكفهرة وداكنة ، ورغم برودة الجو فإن حرارة المواجهة بين القط الأسود وبين الصقر لم تتوقف حيث ظل القط يموء كأنه ينوح ، وحرك أقدامه الأربعة فى الهواء رغم أنه يعرف أن الصقر يرتفع به أكثر فأكثر .

وأخيرا تمكن الصقر من القط وجعله يشعر بالهزيمة .

وبدأت بين الاثنين لعبة جديدة حيث مد الصقر منقاره الضخم نحو فم القط كأنه يتحداه أن يكشف له عن أنيابه الطويلة . ثم تركه فجأة من بين مخالبه فسقط من أعلى وهو يموء رعبا . حيث تهاوى جسده نحو الأرض .

ولكن قبل أن يصل إلى الأرض انقض عليه الصقر مرة أخرى والتقطه وبأسرع من البرق ارتفع به من جديد إلى أعلى ، والقط لايتوقف عن الصراخ . . أحس كأنه خصمه يلعب به كما يحلو له ، كأنه يطلب النجدة من القطط المفترسة التى لعلها تنتشر فى هذا المكان المظلم .

ومرة أخرى تركه من بين مخالبه فسقط من أعلى ، ثم راح يلتقطه

قبل أن يلمس جسده الأرض. وكرر نفس الحركة أكثر من مرة. لعله فعل ذلك سبع مرات على الأقل، وفى المرة الثامنة فوجئ القط أن الصقر لم يلتقطه.

ورغم أن السقطة كانت قوية وبالغة القسوة، فإن القط الأسود تحمل الصدمة وأسرع بين الصخور، وراح يجرى بكل سرعة وهو يموء ويطلق صرخاته كأنه لايصدق نفسه أن الصقر قد تركه دون أن يؤذيه.

واندفع يجرى بكل مالديه من قوة وهو لايعرف أن الصقر يتتبعه. كان يختفى عن الأنظار أحيانا كى يعود للظهور مرة أخرى، وحين يختفى فإنه لايذهب بعيدا وذلك لأن مواءه الذى، يبدو كالنواح، كان يصل إلى الصقر الذى راح يستفيد من قوة إبصاره حتى لايبتعد القط عن أنظاره ولايتوه منه، وبذلك تفسد الخطة التى وضعها «حب حب».

وبعد قليل هدأ القط، واطمأن أنه الآن فى أمان فتوقف عن الجرى وبدا كأن جرحا أصابه من مخالب الصقر ومنقاره.. فسار بتمهل وكأنه يجرجر أحداً وراءه وراح يصعد المنحدر الجبلى وتقدم بين الأشجار الكثيفة ثم فى سفح الجبل كأنه يعرف طريقة جيدا.

وحتى لايحس به القط فإن الصقر « رف رف» كان يحلق أحيانا عاليا وأحيانا قريبا من أغصان الأشجار الكثيفة. وفى بعض الأحيان كان القط يختفى لكن لأن الطريق أصبح خاويا من الأشجار فإن الصقر راح يتتبعه بسهولة رغم عدم وجود شعاع واحد من القمر فى هذه الليلة .

فجأة بدت فى الأفق قلعة غريبة الشكل محاطة بأشجار كثيفة ، لايمكن للمرء ملاحظتها بسهولة رغم أنها تقع فوق تل عال . . وبدا القط كأنه يعرف طريقه إلى هذه القلعة ..

(٩)

عندما وصل القط الأسود الجريح إلى داخل القلعة كان الفجر قد قارب على الظهور فى الأفق .

وفى داخل القلعة وقف رجل عملاق ينظر إلى الأفق الأسود من وراء أستار كثيفة ، كأنه يستودع هذا الليل قبل أن يذهب إلى فراشه لينام ، ثم أحكم إغلاق الستائر حتى لايتسرب أى شعاع من أشعة النهار القادم إلى تلك الغرفة الواسعة .

وراح يتحرك فى الغرفة التى بدت غريبة فى أثاثها العتيق الذى

يعود إلى قرون سابقة . فرغم اتساعها فإنه لم يكن يوجد بها أى سرير للنوم فوقه ، ولكن هناك شيئا غريبا أقرب إلى صندوق صغير لعله تابوت لشخص مات منذ فترة طويلة ، رغم أنه ملفوف بقماش الدانتيللا الذى لم يفقد لونه بعد .

كانت الغرفة قد خلت من أى مصابيح كهربية ، وهناك فوق مائدة صغيرة عليها كتاب قديم ورقه أصفر اللون يعود أيضا إلى سنوات قديمة وإلى جواره شمعدان ذو ستة أطراف اشتعلت منها خمس شمعات ، أما السادسة فبدت كأنها ذابت من الاشتعال طيلة الليل .

اقترب الرجل العملاق من الشمعدان ثم نفخ فيه نفخة خفيفة فأطفأت أضواءه على الفور، ومشى بتمهل نحو التابوت كأنه سيدخله وبالفعل أزاح غطاءه ونظر إلى داخله . إنه سرير مجهز من أجل أن ينام صاحبه فى هدوء وسكينة .

لكن فجأة سمع صوت باب غرفته الواسعة يتحرك فالتفت إليه .

إنه القط الأسود يدخل كأنه يعرف طريقه ، لمعت عينا الرجل وسط الظلام وردد :

صفحة فارغة

ـ ماذا هناك . . ما الذى أعادك مبكرا عن موعدك؟

وسمع القـط يموء كأنـه يئن فانحنـى نحوه وأمسكه بين يـديه ورفعه لأعلى قائلا :

ـ إنك تتألم ياعزيزى . . ماذا حدث؟

وراح يتحسس فروتـه السوداء فصرخ القط فجأة مـن الألم . مما أثار انتباه الرجل من جديد وردد :

ـ أنت جريح . هل أطلقوا عليك الرصاص . ؟

ثم بدأ يدقق فى فروة القط الذى تحول فجأة من حيوان متوحش إلى كائن هـادئ ملئ بالـوداعة والـرقة . لمعـت عينا الـرجل وبـدتا حمراوين وسط هذه الظلام فصاح :

ـ إنه طائر متوحش نشب مخالبه فى جسمك . إنه صقر . .

وفجأة تذكر شيئا ما ، فقبل أن يحكم إغلاق الستائر خُيل له أنه رأى طائرا ضخما يحلـق فى الفضاء . لم يكـن يتصور أن طـائرا بهذا الحجم يمكن أن يصـل إلى هذا المكان ، الآن أحس أن هنـاك شيئا غامضا فترك القط فوق التابوت وأسرع نحو النافذة مرة أخرى .

وعندما أزاح الستائر راح يدقق فى السماء وهو يردد :

ـ أخشى أن تقترب الشمس من الشروق قبل أن أخرج له . .

ثم رآه . . إنه صقر يحلق فى السماء . . برقت عيناه وهو يقول :

ـ لقد جئت إلى هنا . إذن فقد عرفت المكان . . ولن يقدر لك أن تعود إلى موطنك مرة أخرى .

ثم أحس أن عليه أن يفعل شيئا فأحكم الستارة مرة ثانية . واتجه نحو التابوت وأمسك بالقط وقال له :

ـ الآن علينا أن ننام ، وغدا سوف نتصرف . .

ثم سحب القط معه ، وتمدد داخل التابوت ، قبل أن يغلق غطاءه عليه .

(١٠)

لم يكن « حب حب » فى حاجة أن يعود إليه الصقر كى يخبره عن المكان الذى توجه إليه القط ، فقد وضع فوق ريش الصقر إشارة اليكترونية أمكن للكومبيوتر الخارق أن يرصدها مع طيران الصقر ، لقد درب « حب حب » طائره الذكى على أن يقوم بعدة دورات فوق المكان الذى يعود إليه القط الأسود حتى يمكن معرفته بدقة .

ولكن الصقر لم يعد إلى المكان المتفق عليه لمقابلته إلا مع

لحظــات النهــار الأولى بعــد أن أشرقــت الشمــس على المدينــة وماحولها .

وعندما عاد الصقر كان الضابط « صاروخان» هناك مع « حب حب» والذى بدأ يحس بثقة شديدة فيه فقال معلقا :

ــ هل عرفت أين يوجد وكر القطط بالضبط ؟

رد « حب حــب» وهو يشير إلى الخريطـة التى تكشـف مدينـة «تيرانا» وماحولها :

ـ لقد طار الصقر هنا أربع دورات . .

دقق الضابط جيدا فى الخريطة قائلا :

ـ إنـه مكان مهجور، وهذا أفضـل تفسير لإصابة هـذه القطط بالتوحش . فلا أحد من البشر يمكن أن يذهب هناك .

سأل « حب حب » : هل يمكن أن أطير إليه ؟

مط الضابط شفتيه وقال : يمكن أن نرسل قوة من رجال الأمن لاصطياد هذه القطط وقد نستعين بقوات من الجيش لذلك . .

رد « حب حب» : دعنى استكشف المكـان أولا . . ثم سأعود إليك لأخبرك بما رأيت .

لكن « حب حب» فوجئ باعتراض شـديد من الضابط معللا ذلك بـأنه لوصـدقت استنتاجات « حـب حب» فإن القطـط التى تسكـن فى هذه البقعـة المهجورة يمكـن أن تهاجمه وتفترسه ، ولـذا اقترح عليه أن يرسل قوة كبيرة مـن رجال الأمن لتطهير تلك المنطقة المتوحشة من الحيوانات البرية .

واستمـر النقـاش بين الاثنين فترة مـن الـوقـت ، إلى أن اقتنـع الضابـط بما قالـه « حب حب » الـذى وعده أن يطير فـوق المنطقة المتوحشة ليستكشفها . وإذا أحس بأى خطـر فسوف يعود بطائرته الصغيرة بأسرع مايمكن .

وفى النهـاية قـرر « حب حـب » الطيران وهـو يعلم جيـدا أى مخاطر تنتظره هناك .

(١١)

انطلق الصقـر وراء الطائرة التى حملـت « حب حـب» وحده . راح يدوس على أرقام وحروف على شاشة الكومبيوتر الذى حفظت ذاكرتـه الطريـق إلى وكر القطط ، ولم يكـن من المدهـش أن المكان الذى توجه إليه «حب حب» كان قريبا للغاية من مدينة «تيرانا» .

لم تبد المنطقـة موحشـة مثلما تصور « حـب حب» فـأغلبها ملئ بـالمزروعات الخضراء وأشجـار الفاكهـة وبعض الغـابات الكثيفـة ورغـم أن هناك قصرا صغيرا فـإن « حب حـب » لم ينتبه إلى وجـود القصر فقد كان محاطا بهالة كثيفة من الخضرة .

وعندمـا هبطت الطـائرة إلى أقل ارتفـاع ممكن أحـس أن هناك رائحة تنفـذ إلى الطائرة رغـم إحكام غلـق أبواب الطـائرة الصغيرة بشكل جيـد . إنها رائحة نبات البصـل . حاول « حـب حب » أن يبحث عن النباتات التى تبعث هذه الرائحة وتساءل :

ـ ترى من يكون الشخص الذى يمكنه زراعة البصل هنا ؟

بدا التل مهجـورا من البشر رغم هذه الزراعـات الكثيفة ، لكنه فجأة اكتشف بنـاية وسط هذه النباتـات كأنها مدفونـة بداخلها . تصورها فى البداية بقايا آثار قـديمة ، لكنه اكتشف أن النباتات قد زرعت بشكل يتعمـد إخفاء البناية ، فاقترب أكثر بـالطائرة وبدت البناية فى الاتضاح أكثر فهتف :

ـ هناك أشخاص مايسكنون هنا . .

أحس أن البنـاية معتنى بها وتبـدو نظيفة وليسـت مهجورة كما تصور، أراد أن يهبط بالطائرة ولكـن الحذر تسرب إليه ، فإذا كانت

القطط السـوداء هنا فلاشـك أنها يمكن أن تهاجمه فى عقـر دارها ، ولذا تردد فى الهبوط رغم وجود الصقـر معه ، فهذا الطائر القوى لن يستطيع مواجهة كل هذه القطط وحده عندما تبادر بالهجوم عليه .

وفكر « حب حب » فى أن يتراجع وأن يعـود إلى المدينة من أجل الاستعانـة بقوة أمـن ضخمة لاقتحـام القلعة ، ولكنـه تراجـع عن الفكـرة فربما أن هـذا القصر تعيش فيه أسرة صغيرة أو فنـان يحب العـزلـة ، ولـو أن هنـاك شيئـا خطيرا لأبلغـه بـذلـك الضـابـط «صاروخان» .

لكنـه فجـأة تـذكـر مـاقـالتـه ابنـة عمـه : «اقتحـم المغـامـرة ولاتنتظرها» .

ولكـن أى مغـامـرة هـى التـى عليـه أن يقتحمهـا . إنها أكثـر مغـامـراته تـوجسـا ، ففـى كافـة رحـلاتـه السابقـة كـان يستعين بالكومبيـوتر الخارق تارة أو الطائرة أو الصقر مـن أجل الخروج من مـأزق ، لكـن مـاذا تفعـل هذه الأشيـاء أمـام مثـل هـذه القطـط المفترسة؟

لكنه أحس أن عليه ألا يتراجع مهما كانت المتاعب ، وان يخترق هذا الخطر بأى ثمن ، لذا بدأ فى الهبوط شيئا فشيئا وقد خطرت على ذهنه فجأة فكرة لم تكن فى الحسبان .

(١٢)

كان قد برمج « الكومبيوتر الخارق» كى يطلق صوت نباح كلب، فهذا الكومبيوتر مبرمج دوما بكل ماهو حديث وغريب فى عالم البرمجة، ومنذ أن تحول إلى كومبيوتر ناطق قام « حب حب» ببرمجته بكافة الأصوات التى تعرفها الطبيعة والبشر.

ولذا فقد أدار مفتاح التشغيل استعدادا لإطلاق عدة إيقاعات من نباح الكلاب، بحيث يمكن له فى أى لحظة إثارة الخوف فى قلب أى قط، مهما كانت شراسته ويتراجع قبل أن يفكر فى الهجوم.

وعندما حطت الطائرة فوق التل كان القصر القديم قد تكشف تماما أمام « حب حب» وبدا فخما رغم شكله القديم، ورأى «حب حب» الطريق الحجرى الذى يؤدى إلى أسفل التل، وكأن شخصا قد قام بغسله قبل ساعات ، فتمتم :

ــ هذا المنظر يوحى أن شخصا ما يعيش هنا .

وتقدم بحذر ناحية الباب الخشبى الضخم، فالقلعة تبدو كأنها ترجع فى طراز بنائها إلى قرون قديمة ولم تتم إضافة أى فنون معمارية حديثة عليها.

صفحة فارغة

سرعان مـا أحس « حب حب» أنـه أمام قلعة من تلـك القلاع التاريخية التـى يتم فيها تصوير أفـلام الرعب ، وخاصة أفـلاما عن الكونت دراكيولا والبارون فرانكنشتاين . فقد سبق أن شاهد مثلها فى العديـد من الأفلام ، وعلى الفور هُيـئ له أن الحالة الجيـدة التى توجد عليها القلعة ترجع إلى أنه قد تم تصوير أحد الأفلام الحديثة فيها .

لكن عينيه لمعتا فجأة وتراجع وقد هيئ له أن القطط قد ظهرت وتساءل :

- يا إلهى . والقطط . إنها حقيقة ! !

أدرك أن مايشـاهده ليـس بمثابة قلعـة تم تجديـدها مـن أجل تصـويـر أحد الأفـلام ، ولكنهـا مسكـونة بشخـص يتصرف مثـل الكونـت «دراكيولا» وإنـه يقوم بتربية القطـط السوداء داخـل هـذه القلعة ويطلقها على المدينة .

وهنا توقف « حب حـب» وراح يفكر فيما عليه أن يفعله ، فقد بدا الخطر مـاثلا ، ترى هل يعـود إلى مدينة «تيرانا» مـن أجل إبلاغ سلطات الأمـن؟ وأن يقترح أن تهاجم القلعة قـوة من الجيـش جوا وبرا؟ أم إن يستكشف المجهول بنفسه ؟

أحس « حب حب» أن عليه ألا يتسرع . فمن أدراه أن شخصا مايعيش هنا ، وهل يعرف الناس بوجوده فى « تيرانا» . . ؟ ومن يكون؟ وماهى علاقته بالقطط؟

وتذكر ماقالته ابنة عمه التى تركها فى منزل صديقتها «فاطمة» . « اقتحم المغامرة ولاتنتظرها» .

لم يتردد ، وقرر أن يقتحم البوابة مهما كانت الأسباب فنظر إلى صقره الذى يحلق فى الجو ، وهو يحمل الحقيبة الطائرة ، أشار إليه أن يهبط عندما يحس بالخطر ثم تحسس الكومبيوتر وسأله :

ـ مارأيك . . هل نقتحم؟

لم يرد الكومبيوتر بكلمات ، بل راح ينبح كأنه مستعد للمغامرة . .

(١٣)

إنه الكونت «داركيولا» فعلا ذلك الشخص النائم فى تابوته فى تلك الساعة من النهار وإلى جواره أحد قططه السوداء المفترسة .

إنه يقيم فى نفس القصر الذى يشبه قصره القديم الذى عاش فيه فى أحد مرتفعات رومانيا منذ قرون عديدة . والذى هرب منه إلى هنا فى القرن الخامس عشر بعد أن هرب من الأتراك الذين حاربهم

عندمـا أتوا لغـزو بلاده وعـرفوا بحكـايته وهـوايته المجنـونة لأعمال السحر.

اسمه الحقيقى «هوفارد» . إنه مصاص دماء ينام مثل الخفافيش طيلة النهار حتى إذا ما حل الليل خـرج من تابوته، ويروح يبحث عن ضحيته كى يمتص دماءها وآنذاك يشعر بارتياح كبير.

إنه إذن الرجل الذى شغل الناس طوال خمسة قرون، وخاصة فى القرن العشرين بعد أن كتب عنه أديب إنجليزى يدعى برام شتوكر رواية تحمل اسم « دراكيولا» فى عام ١٨٩٧ تحولت فى السينما العالمية إلى أكثر من ١٥٠ فيلما .

هو إذن شخصية تـاريخية حقيقية مالبث الناس أن عـرفوا عنها المزيـد بعـد أن تحولـت إلى روايـات وأفـلام، فقـد تغلغلـت هـذه الشخصية فى حياتنا المعاصرة لدرجـة جعلت الكثيرين يؤكدون أن الكونت «دراكيولا» هو سمة القرن العشرين .

وأصبحـت مثل هـذه الحكـايـات منتشرة ومعروفـة تحت اسـم «حكايـات الخفافيـش» بطلها رجل يعيـش وحده طـويل القـامة ونحيـف، ويـرتدى مـلابس قاتمة ولايبتسـم أبدًا، إذا تكلـم بدت أسنانـه طبيعية، لكنه عنـدما يقترب مـن ضحيته تبرز أنيابـه التى

صفحة فارغة

تطول فجأة، ثم تنغرس فى شرايين الرقبة باعتبارها الأنقى دما . .

وخفافيش الليل ليست حكايات من صنع الخيال بدليل وجود هـذه القطـط التـى ظهـرت فعلا فى شـوارع البـانيـا فى أغسطـس ١٩٩٤ . فقد انتشرت مثل هـذه الخفافيش فى القرن الثـامن عشر. ففى عام ١٧٣٢ ظهرت امرأة تدعـى ميليزا ، كانت تمارس السحر الشريـر، وقالـت لجيرانها قبـل وفـاتها إنها أكلت خـروفين بعـد أن هاجمها مصاص دماء. وإنها ستموت لهذا السبب.

وعقب وفـاتها فتح طبيب القـرية المقبرة وسجل فى شهـادته أن المرأة أكثر بدانة، وأن دماءها كانـت طازجة وتجرى فى عروقها كأنها لم تمت.

وقد أثـارت حكايات الكونـت «دراكيولا» غريزة الفضـول عند العديـد من المؤرخين فـراحوا يبحثون عـن الأماكـن التاريخيـة التى عاش فيها «دراكيولا» وعثروا على قصره عام ١٩٦٩ الذى لم يبق منه سوى أطلال وتوصل المؤرخون إلى أن الاسـم الحقيقىّ لدراكيولا هو الأمير فـارد الذى هـرب إلى القصر مـن الأتـراك فى القرن الخامـس عشر.

يا إلهى . . إذن لقد هرب دراكيولا من قصره فى رومانيا كى يأتى

إلى هذا القصر بعيدا عن الأنظار والذى يبدو أن أحدا لم يكتشفه بعد سوى «حب حب» ، ولكن ، ترى ماذا يكون سر هذه القطط؟ وما ذا يخطط دراكيولا حقا فى هذا العالم الغامض . . وفى تلك المرحلة الحساسة من تاريخ العالم؟

(١٤)

بينما كان الصقر يحوم حول القلعة ويكتشف أن كل الأبواب والنوافذ مغلقة ، حاول «حب حب» أن يمرق بجسده النحيل من داخل إحدى الفتحات الضيقة . وبصعوبة بالغة وجد نفسه داخل قصر عتيق ، خال من الأثاث ، ملئ بالصالات الواسعة والردهات العالية الأسقف . .

راح يتحرك بحذر شديد فى القاعة الكبرى ، وبدأ قلبه يدق لدرجة أنه كان يسمع دقاته ، فقد توقع أن تخرج له القطط بين لحظة وأخرى كى تهاجمه وتفترسه . مسكين «حب حب» فكم تنهد ، وهو يحس بأن هناك خطرا قادما . ثم يكتشف أن لاشىء هناك .

ما إن خرج من تلك القاعة ، وسار فى ممر ضيق ، مظلم ، حتى تخيل أن القصر خال تماما من سكانه ، وأيضا من القطط . وأن هذه

الحيوانات المفترسة غير موجودة هنا، بـل لعلها توجد فى قبو أسفل القلعة، فلو أنها هنا لظهرت له وهاجمته.

انتهـى القبـو إلى سلـم يـؤدى إلى الـدور العلـوى، إنـه سلـم خشبى، يمكن أن يخلف وراءه صوتا لـو وطئ بقدميه عليه. ولذا لم يصعد عليـه. ووقف قليـلا، فى أسفله، ثم التفـت حولـه قائلا لنفسه:

ـ إنه قصر دراكيولا. . أو فرانكنشتاين. . ولا أحد غير ذلك. .

ولأنه يعرف أن الكونت دراكيولا. والبارون فرانكنشتاين صناعة سينمائية، فقد وجد أن أفضل وسيلـة أن يتصور نفسه يشاهد فيلما سينمائيا مثيرا. ومهما أحس الناس بالرعب أو الخوف، فإن دراكيولا لن يخرج قط من وراء الشاشة كـى يهاجم المتفرجين، لذا فلو ظهر أى من تلك الشخصيات المثيرة للرعب الآن فلن تؤذيه.

مسكين يا «حب حب» . . لقد جعلك خيالك الجامح تتوهم هذا، وأنت لا تعـرف أن الكونت دراكيولا نائم بالفعـل على مسافة قريبة منك. . بشحمه ولحمه ودمه.

فجأة نبـح الكومبيوتـر الخارق. . فارتجف قلب «حـب حب» وتراجع كأن القطـط تتحفز للقفز. التفت حوله فلـم ير شيئا، بدا

كأن الكومبيوتر الخارق قد تشمم قطا أو أحس بوجوده . . فسأل فزعا :

ـ ماذا هناك ؟

لم يظهر أى قط حوله . هنا ظهر سهم يشير إلى السلم ، كأن الكومبيوتر الخارق قد تشمم وجود القطط بأعلى . . وأصبح على «حب حب» أن يتماسك وأن يصعد السلم بحذر شديد . دون إحداث صوت . ومرت لحظات ثقيلة . قبل أن يصل إلى الغرفة التى يشير إليها سهم الكومبيوتر.

دفع الباب بحذر شديد وتشمم نفس الرائحة الغريبة التى انتشرت فى الخارج يسبقه قلبه الخافق ، وهو يدق بعنف متصورا أن القطط سوف تقفز فوقه وتفترسه ، لكن المفاجأة أنه وجد نفسه فى غرفة واسعة خالية من الأثاث .

راح يدقق فى الغرفة ويفحص محتوياتها وأخيرا شاهد التابوت . ردد وكأنه كان يتوقع ماراه :

ـ إنها قلعة دراكيولا . !!

ثم اقترب منه وقد تملكته غريزة فضول مجنونة متوحشة فى أن يعرف المزيد ، فهل ما يحدث حوله حقيقة ، أم إنه مجرد خيال و إن

هذا ليس سوى بقايا ديكور فيلم حديث عن الكونت دراكيولا؟

(١٥)

ارتد إلى الوراء فى فـزع . وهو يرى العملاق النـائم وقد احتضن القط .

كـان قد أزاح غطـاء التابـوت بحذر شـديد بعـد أن تراكمـت الخيالات فى رأسه والتـوهمات ، فهو يتصور أن القطط سـوف تقفز عليـه بين لحظة وأخـرى ، ولم يكـن يعرف بـالضبـط ماذا سيفعـل ولاكيف يدافـع عن نفسه . كل مـايعرفه أن « الكومبيـوتر الخارق» سوف يتولى الأمر بأن يطلق نباحات متبـاينة وقوية قد تصيب القط بالفزع أو ربما لاتؤثر فيه بالمرة .

أزاح الغطاء ورآه أمـام عينيه . إنه رجل طـويل الوجـه أقرب فى شبهه إلى الممثـل كريستـوفرلى ، وهـو أشهرمـن جسد دراكيـولا فى السينما . إنه نائم هنا . محتضنا قطه .

ارتد « حسب حب» إلى الوراء بسرعة وانتظـر من الكومبيـوتر أن يطلق نبـاحه . لكن الكـومبيوتر لم يفعـل . وإلا أيقظ ذلك الـرجل النائم وقطه الشرس الجريح .

نظر « حب حب» إلى الكومبيوتر قائلا :

ـ إنه الكونت دراكيولا ، هل تعرفه؟

ولم يكن هنـاك وقت للإجابـة ، فقد ود أن يتأكد ممـا رآه ، فراح يقترب مرة ثـانية ، رأى وجهه نائما ، وكـأنه يحلم أحلامـه الخاصة . دقق « حب حب» فى الوجه وتساءل :

ـ ترى هل هذا هو الوجه الذى حير الناس؟

ولم تكن هناك إجابة على سؤالـه ، كان يضم القط إليه فى حنان ملحوظ ، ولم يكـن يبدو عليه أى مـلامح للشر، ولذا ود أن يـوقظه كى يتـأكد منـه ، أو ربما ليشاهـد أنيابـه الطويلـة . لكن شيئـا ما استرعى انتبـاهه ، فقد كان القـط الذى يحتضنه جريحا . إنـه نفس القط الذى اختطفه الصقر، أى إنه نفس القط الذى هاجم « حب حب» .

ود أن يلمس القط ، لكن هيئ له أنـه سوف يغرز أنيابه الشرسة فى يده وأحس فجأة بأن موازين الأشياء تتغير، فهو لم ير« دراكيولا» فى أى من الأفلام فى مثل هذا الموقف المسالم ، وهل هناك لحظة يبدو فيها الكائن الحى أكثر مسالمة من لحظات النوم؟

كان « حـب حب» يعرف أنه حسـب قوانين خفافيـش الليل ،

فإن دراكيولا ينـام مع أول إشراقة للشمس ويبـدأ فى الاستيقاظ مع أولى لحظات الليل . ولذا فهو لايمكنه أن يستيقظ الآن ، لأن ذلك خطر عليه ، بل إن « حب حب» يمكنه بسهولة أن يحرقه بأن يفتح تلك النـوافذ بعد أن يزيـح الستائر، ويخلص العالم مـن شرور هذا المصاص للدماء إلى الأبد، وخاصـة قططه الشرسة ، ولكنه لم يفكر فى هذا أبدا .

لقد أحـس أن عليه أن يواجه دراكيـولا وجها لوجه مهما كـانت خطورة ذلك ، ولذا قرر أن يبقى هنا حتى حلول الليل ، وربما لأيام أخرى . . أو ربما لن يستطيع الخروج من هنا مرة ثانية .

(١٦)

ارتفعت درجة الطوارئ فى مديرية الأمن بمدينة «تيرانا» إلى أعلى درجـاتها ، وأحس الضـابط « صـاروخـان» المسئول عـن موضـوع القطط السوداء المفترسـة بأن الأمر يزداد خطورة خاصـة أن الساعة قد دقت الرابعة مساء ولم يعد « حب حب » بعد .

ارتبكت الأمور أكثر عندما حضرت « حبيبـة» إلى مديرية الأمن وراحت تسأل عن ابن عمها . حـاول الضابط أن يطمئنها ، لكنها قالت فى براءة ملحوظة :

ـ اسمع ياحضرة الضابط . لقد أحضرت ابن عمى معى إلى البانيا ، ويجب أن أعود به .

كان « صاروخان» باعتباره مسلماً يقوم بأداء فروض دينه يفهم الكثير من الكلمات العربية ، وقد فهم بعضا مما قالته الصغيرة ، فقال لها :

ـ لقد جهزنا فرقة كاملة وطلبنا تدخل القوات المسلحة .

فى تلك اللحظة دق جرس الهاتف فرفع الضابط السماعة وجاءه صوت كان ينتظره بفارغ الصبر فهتف :

ـ « حب حب» . . أين أنت ؟

كان « حب حب » قد أخبره أن الكومبيوتر الخارق الذى معه يمكنه أن يتحول إلى هاتف عند اللزوم . وبالفعل قرر « حب حب» أن يتصل به من داخل القلعة فرد قائلا :

ـ أنا فى أمان . . لاتقلق علىّ . .

سأل الضابط : هل أنت فى خطر ؟

ودون أى مراعاة لخطورة الموقف ، ولأنها « حبيبة» ، فقد قامت الصغيرة باختطاف السماعة من الضباط ، وصاحت باللغة العربية :

ـ آلو . . « حب حب » كيف حالك ؟ طمئنى عليك . .

جاءها صوت « حب حب » مداعبا ، لكنه يبدو كأنه يتكلم همسا :

ـ كيف حالك . . اطمئنى . . فأنا اخترق المغامرة ، لقد سمعت كلامك .

صاحت « حبيبة » :

ـ وحياتك « حب حب » نحن لانريد مغامرات . . فقد أوحشتنى أمى . .

ضحك « حب حب » هامسا وقال : سأحضر لك قطا هدية . .

وقبل أن تصرخ ضحكا ، مد الضابط يده فى أدب والتقط السماعة وراح يسأل « حب حب » عن أخباره ، لم يشأ الفتى أن يخبره أنه موجود الآن فى قلعة دراكيولا خشية أن يتصور أنه يبالغ ، أو أنه تقمص المغامرة ، ولذا فإن « حب حب » اكتفى بأن قال له إنه فى مكان آمن بالجبال وينتظر حلول الليل كى يعرف المزيد عن أوكار هذه القطط .

وعندما وضع الضابط السماعة تمتم لنفسه قائلا :

ـ « حب حب » فى خطر، أحس أن شخصا قد أمسك به وحوله إلى رهينة ، يجب أن نتصرف .

(١٧)

واقترب الليل .

وبدا « حب حب » كأنه قد عرف الكثير عن دروب القلعة ، فقد قام بجولة سريعة فى أنحائها من أجل استكشافها ، وانتقل من غرفة إلى أخرى بحثا عن القطط المفترسة ، فطالما أنها قطط الكونت دراكيولا فلاشك أنها مثل القط الجريح تنام أثناء النهار ، ثم تستيقظ عندما يحل الليل ، ولاشك أن هذا يفسر سر هجوم هذه القطط على المدينة ليلا .

ورغم أن « حب حب » قد بحث طويلا عن القطط فى شتى الغرف ، فإنه لم يعثر عليها ، ولكنه فوجئ عندما فتح إحدى الغ بكتل سوداء تلتصق بالحوائط فتراجع جزعا ثم عاد إلى مك هاتفا :

ـ ياإلهى . . كل هذه خفافيش . ! !

كانت الخفافيش قد التصقت بالجدران متجاورة الواحد منها

بجانب الآخر مشكلة منظرا مخيفا ملفتا للأنظار ومثيرا للتساؤل : ما الذى كدس كل هذه الخفافيش هنا بالذات؟

أحس « حـب حب» أن هذه الخفافيـش تفعل شيئا ما عنـدما يحل الليل ، خاصة أنه رأى بعض النوافـذ مفتوحة بما يوحى أنها ما إن تستيقظ حتى تطير خارجة من الفتحات ، ولذا قرر أن يغلقها ، بل إنه عندما غادر الغرفة أحكم مزلاجها كى يطمئن أنها لن تتمكن من الخروج على الأقل فى هذه الليلة . ليلة المواجهة .

وقبل أن يحل الليل ، فتح « حب حـب » بوابة القلعة وخرج إلى الحديقـة حيث كـان ينتظره صقـره . راح الطـائر الذهبى يرفـرف بجناحيه وحط على كتف صاحبه الذى ربت على ريشه قائلا له :

ـــ ياصـديقى إنها مغـامرة تختلـف هذه المرة ، قـد تكون مليئـة بالرعب والإثارة لكن نتائجها لو نجحت فستكون رائعة .

وراح « حب حـب » يدرس المكان مـن حولـه ، وكيفية الهروب عند الخطر ، وخاصة عندما تظهـر القطط المفترسة . وتذكر أنه رأى فى بعض أفلام دراكيولا الفئران الصغيرة تحل فى نفس الأماكن التى يـذهب إليهـا دراكيـولا ، خاصـة الفئـران البيضاء الكثيرة فى فيلـم «نوسفراتو» .

نظر « حب حب » إلى الصقر، وقد امتلأت عيناه بالتساؤل :

ـ ترى هل يستطيع أن يجابه كل هذا العدد من القطط المفترسة عند ظهورها؟

كانت الإجابة بالنفى بالطبع ، ولذا راح « حب حب » يفكر فى اللحظة المثلى فى السيطرة على الموقف ، فلم يبق سوى نصف ساعة ويحل الليل وسوف يستيقظ الكونت من نومه ، ولاشك أن الغضب سوف يتملكه عندما يكتشف أنه عرف مكان القصر.

فكر « حب حب» فى عشرات الحلول وخطط كثيرا لأمور يمكنه بها السيطرة على القلعة ، وراح الوقت يمر بسرعة دون أن يتوصل إلى الخطة المثلى . .

وبدأت الشمس تزحف نحو الأفق ، وكان على « حب حب» أن يدخل القصر حيث ينتظره مصيره المجهول ، لكنه فجأة تحسس جيبه وهتف :

ـ يا إلهى . . لقد وجدتها . !!

(١٨)

واختفت الشمس من الأفق .

وزحف الليل على القلعة . وفى الغرفة الواسعة فتح العملاق

النائم عينيه، لقد حانت لحظة استيقـاظه ليستقبل ليلة جديدة من لياليـه الطويلـة، حـاول أن يزيـح غطاء التـابوت لكنـه لم يستطع اكتشـف فجأة أنه مقيد بحبـل متين، وأن القـط بدأ يـموء دون أن يتمكـن من الحـركة كـان لايـزال جـريحا. لم يفهـم دراكيولا مـاذا حدث له.

لكن فجـأة تحرك الغطاء. ورأى أمـامه صبيـا صغيرا، أصابتـه الدهشـة ولمعت عينـاه الغريبتـان، سمع الصبـى يقول لـه باللغـة العربية:

ـ هل تسمح لى أن أكون ضيفك؟

ثم رفع الغطاء كلـه كأنه يتيح له فرصة القيـام، ورغم أنه وجد نفسه مقيدا، فإنه حاول الجلوس فى التابوت أخذ يسأل:

ـ مـن أنت. وكيف جئت هنا.. وهـل أنت الذى قيـدتنى هكذا؟

انهالـت الأسئلة، وأحـس «حـب حـب» أن عليه أن يمتـص الموقف، كـان «دراكيولا» قد فتـح فمه فظهـرت أسنانه بـلا أنياب ولكن شيئا فشيئا راح يلمح الأنياب تبرز فى فمه كأنه يثير الخوف فى قلبه، قال:

صفحة فارغة

ـ هل تعرف أين أنت ؟ أنت هنا فى قلعة مصاصى الدماء .

وارتجف « حب حب» . . فماذا يقصد الرجل وهو يقول «مصاصى الدماء»؟ هل هناك دراكيولا آخر أو العديد من مصاصى الدماء فى هذا المكان؟ ، هنا فتح « حب حب» فمه وكانت المفاجأة .

هتف الرجل : آه . . أنت واحد من قبيلتنا إذن . .

رأى دراكيولا أنيابا تبرز فى فم الصغير، لكنه مالبث أن ضحك ، فبرزت أنيابه الطويلة وقال :

ـ إنها أنياب صناعية . . أنت غلام يجيد المزاح . .

قال « حب حب » : وأنت تبدو لطيفا وأنت تضحك .

تنبه دراكيولا أنه ضحك وتذكر أنه لم ير نفسه قط لايضحك ولايعبس ، فمصاصو الدماء مثله لاتنعكس خيالاتهم فى المرايا . . لذا تساءل :

ـ هل تعتقد هذا؟

رد « حب حب» : هل تحب أن ترى . . هل أحضر لك مرآة ؟

أحس « دراكيولا» أن الصبى يسخر منه ، فبدت على وجهه تكشيرة مخيفة وحاول النهوض وصاح : يبدو أنك تجاوزت حدك . .

وما إن وقف داخل التابوت حتى تعثر، فسقط سقطة شديدة خارجه، وراح القط الأسود يموء فى وحشية ، وبدأ « دراكيولا» يتوعد «حب حب » قائلا :

ـ أيها المخادع . سوف أعلمك كيف تسخر من دراكيولا. .

(١٩)

تملكه الغضب الشديد وتوعد زاعقا :

ـ أنت فى قلعة لايغادرها من يأتى إليها . .

حاول « حب حب » أن يبدو متماسكا ورغم أن الموقف بدا عصبيًا فإنه أحس أن مصاص الدماء يحاول أن يثير الخوف فى قلبه، وأن يجعله ينهار فلاشك أن دراكيولا يتصرف بكثير من عدم الاتزان، فهذه هى المرة الأولى فى عمره المديد التى يتعرض فيها لمثل هذا الموقف .

لكن فجأة انطلق نباح الكلب من داخل الكومبيوتر الخارق. . بدا كأن هناك كلبا ضالا مصابا بالسعار يبحث عن فريسة يود أن يعقرها، أثار النباح القط المقيد الذى بدلا من أن ينكمش ويبحث عن فرصة للهرب، فإنه قفز من مكانه رغم قيده وانتابته حالة هياج

ملحوظة كأنه يبحث عن هذا الكلب كى يفترسه .

ووسط غضب دراكيولا فإنه ضحك مرة ثانية قائلا :

ـ رائع . . لقد أتيت معك بكلب قوى . . حسنا . . فقططى تحب لحم الكلاب كثيرا .

وأحس « حب حب » كأن لعابه قد جف فى حلقه . فهذه القطط المفترسة تلتهم الكلاب وتحب لحومها . إذن فهى بالغة الشراسة ولاشك أن كل ماخططه من أجل إثارة الخوف لديها قد فشل . تصور أن « دراكيولا» يحاول أن يمارس معه لعبة إثارة الأعصاب ، لكن القط بدا شرسا وكأنه يتوق لمقابلة الكلب الذى نبح . . ولذا سرعان ما أوقف صوت النباح المنطلق من الكومبيوتر وحاول أن يتصرف ، فقال :

ـ ألم أقل لك إن ابتسامتك لطيفة؟

هنا سمع الرجل يقول بلهجة مختلفة تماما وهو لايزال جالسا فوق الأرض غير قادر على الحركة :

ـ هل يرضيك أن يقيد كونت هكذا؟

لم يعبأ « حب حب» بأن يرد على سؤاله فقال :

ـ وهـل يرضيك أن تهاجـم قططك النـاس فى المدينة وتحاول أن تمتص دماءهم . ؟

قال ببساطة :

ـ إنها قطط جوعانة . فلماذا لا تأكل ؟

رد « حب حـب» : لم يمنعها أحد مـن الأكل . لكن هـل من المهم أن يكون الأكل هو افتراس دم الضحايا؟

تساءل « دراكيولا» :

ـ هل لديك طعام آخر . . ؟

رد « حب حب » بتلقائية وكأنه كان ينتظر هذا السؤال :

ـ القطط عادة تشرب اللبن . .

ضحك « دراكيـولا» بسخرية متسائلا : ومـا الفرق بين اللبـن والدم . . ألم تدرس فى المدرسة أن اللبن يتكون من دم البقرة؟

بدا كأنه يتعمد أن يضحك . لكن كلماته بدت غريبة لـ « حب حب» ، وأحـس كأنه ينوى أن يفعـل شيئا يقلب موازيـن المواجهة التى لم تبدأ بعد .

(٢٠)

وأصرت « حبيبـة» أن تخرج مع فـرقـة العمليـات الصعبة التـى ستذهب للبحث عـن «حب حب ». وقالت للضابـط الذى كان يفهم بعض كلماتها :

ـ لن أعود بلا « حب حب »، إنه أمانة يجب أن أسلمها .

وأمام إصرار « حبيبـة» وإلحاحها وافق الضـابط صـاروخان أن يصحبها معـه فى سيارته الجيب التـى عليها أن تشق الطريـق نحو الهضبة العليا التـى رصدت الأجهزة الحديثة أن « حـب حب» كان يتكلم منها . وقبل أن تركب السيارة أشارت إلى صديقتها « فاطمة» وإلى أخيها « عمرو» ، وفهم الضابـط أن « حبيبة» لن تذهب دونهما فقال لعمرو باللغة الألبانية :

ـ الرحلة خطرة . .

رد «عمرو» : علينا أن نبحث عن أبى ، نحن نعرف أنه هناك .

علقت « فاطمة» : لقد اختطفته القطط . .

ثم تمتمت وكأنها سوف تبكى : إنه هناك فى الهضبة . .

وبعد قليـل تحركت فرقـة العمليات الصعبة التـى جهزتها إدارة الأمن بمدينة «تيرانا» ، كانـت تضم خمسة من أكفـأ الضباط تحت

قيادة الضابط « صاروخان»، وأربعين جنـديا مدربين جيدا وطوال اليومين الماضيين راحـوا يتلقون أعنف التـدريبات لمواجهـة القطط المفترسة .

وفى الساعة الخامسة ، وقبل غـروب الشمس بساعتين فى مدينة «تيرانـا» تحركت السيـارات الأربـع فى طـريقها إلى خـارج المدينـة ، وتجمـع سكان «تيرانـا» فى الشوارع يـودعون رجـالهم المقاتلين وقـد أحسوا ببعض الارتياح ، وتمنى البعـض أن تتمكن المدينة من قضاء ليلـة واحدة بـدون الخوف الذى سببتـه فى الأسـابيع الأخيرة تلـك القطط المفترسة .

وانطلقت السيارات فى طريقها .

وبعد ساعتين ، بـدأ الليل يحل ، فانطلقت الأضـواء الكاشفة من كـافة السيـارات كأنها تحاول استطـلاع أى حيوانـات شاردة فى الطريـق ، وقد شهـر الجنود أسلحتهـم فى كافـة الاتجاهات كـأنهم يتوقعون ظهور القطط فى أى لحظة .

أحست « حبيبة» فى أول الأمر أنها ذاهبة فى نـزهة جبلية جميلة ، لكنها مالبثت أن غرقت فى النوم عندما اقترب الليل ، وما إن نامت حتى بدأت أصوات غريبة تنطلق من السيارة التى تركبها ، تصورها

الجنود فى البداية خربشة للقطط فوق الحشائش لكنهم مالبثوا أن أطلقوا الضحكات وتبادلوا التعليقات الساخرة . . فلم يكن ذلك سوى أصوات غريبة تطلقها « حبيبة » ، ربما لأول مرة فى حياتها وهى تشم رائحة الأبصال فى الحقول ، تلك الرائحة التى تشمها قوية لأول مرة فى حياتها .

لم يكن الجنود الذين راحوا يطلقون التعليقات الساخرة قادرين على التمييز بين هذا الصوت وبين أى أصوات تصدرها القطط التى يمكن أن تظهر بين لحظة وأخرى .

(٢١)

لم يصدق « حب حب » عينيه وهو يرى « دراكيولا » وقد فك قيده .

كان قد اقترب من القط الشرس المقيد بدوره فوق الأرض ، ثم راح يتحدث إلى « حب حب » وسأله :

ـ هل لاتزال ابتسامتى لطيفة ؟

اندهش « حب حب » من السؤال . أو لعله كان يتوقعه فقال فى ذكاء :

صفحة فارغة

ـ انظر إلى المرآة . . وشاهد . .

ومد لـه يده بـالكومبيـوتر الخارق الـذى تحول إلى مرآة عـاكسة وكـانـت المفاجـأة فقـد ظهـر وجه « دراكيـولا» على سطـح المرآة ، فأحـس الكونت ، بـالذعر وتـراجع إلى الخلـف وقد أطلق يـديه فى الهواء وقال :

ـ بل هو كومبيوتر متعدد القدرات ومبرمج دوما بشكل متطور.

كان القط قـد تمكن من قرض الحبل الـرفيع البالغ المتـانة الذى قيده بـه « حب حب» . . هنا وقـف مصاص الدماء أمـام « حب حب» واستعد للسيطرة على الموقف قائلا :

ـ الآن ، هات كلبك المدلل لنقدمه طعاما لقطى المسكين .

وأراد أن يفك قيد القط كى تبـدأ المواجهة ويتمكن من افتراس «حب حب» ، وبسرعة بديهة قال الفتى :

ـ لم تخبرنى عن رأيك فى ابتسامتك اللطيفة .

فرد « دراكيولا» وهو يحاول أن ينحنى نحو القط كى يفك قيده :

ــ سأخبرك برأيى حالا . .

اقترب « حب حب » بيده اليمنى من مصاص الدماء قائلا :

ــــ سـوف تغير رأيـك فى القـط لـو رأيت وجهـك . . فهـذه

الابتسامة اللطيفة لاتناسب هذا القط المتوحش.

ورغم ذلك فإن « دراكيولا» لم يشأ أن يتراجع عن مساعدة القط الجريح فى أن يفك قيده وهو المكوم فوق الأرض، لذا قال:

ـ هل تعرف أنه فى إحدى الغرف المجاورة أكثر من مائة قط من أمثاله؟

بدا كأنه يثير خوف « حب حب» الذى اقترب منه أكثر، وقال: انظر يا أمير « فارد» . . ألست أميرا نبيلا يدافع عن وطنه؟

وبدت كلمة « أمير» كأنها قد أيقظت شيئا ما فى ذاكرة دراكيولا، ورغم أنه شرد قليلا، فإنه لم يتراجع عن قراره بفك قيد قطه الأسود، سأله:

ـ هل أنت تركى؟ لقد حاربت جيوشكم. . فانتصروا علىّ. الآن سوف أهزمكم شر هزيمة.

رد « حب حب » أنا عربى مسلم. . انظر إلى هذا. . هل رأيته من قبل؟

كان « دراكيولا» قد تمكن من فك قيد القط المفترس. . ثم راح ينظر إلى الكتاب الصغير الحجم الذى بين يدىّ « حب حب» فأصابه رعب شديد. .

(٢٢)

صرخ : ماهذا . . ؟

رغم أن القط قد أطلق سراحه فإنه وقف مشدوها إلى جوار سيده الكونت ، ولم يتمكن من مهاجمة « حب حب» ، فقد بدا «دراكيولا» عاجزا تماما عن الحركة ، وقد أشاح بوجهه بعيدا صائحا :

ـ ابعد عنى هذا الشىء أرجوك . .

تساءل « حب حب» وقد امتلأ عزيمة على مواجهته قائلا :

ـ هل قرأته من قبل . . هل لديك فى قصرك مثله . . ؟

حاول « دراكيولا» أن يتجه نحو الباب من أجل أن يهرب من مواجهة هذا الكتاب الصغير الذى يشهره « حب حب» فى وجهه ، إنه يخاف منه ويخشى مواجهته ، فهو يعرف انه يتضمن كلمات مضيئة يمكنها أن تحرقه ، صاح « حب حب» :

ـ إنه القرآن الكريم . .

صرخ دراكيولا: أعرف . . ابعده عنى . . إنه يحرقنى . .

كان دراكيولا قد اقترب مع القط الخائف أيضا نحو باب الغرفة وحاول الخروج منها صاح « حب حب» :

ـــ إنـه لايحرق أحـدا بـل هـو يهدى الأشرار . . هـل أنـت شرير . . ؟

برقـت عينا « دراكيـولا» بشكل مخيف قبـل أن يخرج من الغـرفة وهو يردد :

ـــ نعم أنا شرير . . وأفخر بذلك . .

ثم اختفى من الغرفة . لم يشأ « حب حب» أن يخرج وراءه حتى لايتم اصطياده خارج الغرفة ، فقـد نجح الجزء الأول من خطته بأن كشف قـوة « القرآن الكـريم» على مصـاص الدمـاء الذى أصـابه الرعب الشديد ولم يتمكن من مواجهته .

كان أبرز مافى الأمر أن القـط قد تحول بدوره إلى مخلوق مستكين أصابه الخوف والرعب مثلما أصاب صاحبه . قرر « حب حب»أن يبقى فى مكـانه كـى يعيد حسابـاته مـن جديد مـن أجل مـواجهة مصاص الدماء ، ويعيد برمجة الكومبيـوتر بما يتناسب مع المواجهة القادمة ولأنه يعرف أن « دراكيولا» لابد أن يعود إلى هذا المكان آجلا أو عاجلا ، من أجل أن ينام فى نفس التابوت .

لكن « دراكيولا » سرعان ماعاد وقد بدا عليه الغضب إنه نفس الغضب الذى ارتسم على وجه القط فصاح دراكيولا:

ـ ماذا فعلت فى غرفة الخفافيش أيها الشقى . ؟

لم يتوقـع « حب حـب» للكونـت أن يعود بهذه السرعـة ، لكنه يعـرف أنه قـد أغلق هـذه الغـرفة بـإحكـام شديـد ، وأوصد بـابها اليكترونيا بواسطـة «الكومبيوتر الخارق» حتى لاتتمكـن الخفافيش من مغادرتها ، فصاح « دراكيولا» :

ـ فالقطط . . تموء . . وتريد الخروج . .

قبل أن تنتاب الدهشـة « حب حب» لأنه لم ير بالغـرفة أى قط ولم يكن هناك سوى الخفافيش ، كان القط الجريح قد قفز فى الهواء ناحية « حب حب» هادفا افتراسه .

(٢٣)

فجأة حط من السقف كأنه كان ينتظر هذه اللحظة ، وفى نفس الوقت انطلق وميـض قوى ناحية عينى القط الحمـراوين مما جعله يغلق عينيه من قوة الضوء ويصرخ وهو يقفز بعيدا .

كان الصقـر قد ظهر لـه من جديد . بـدا مثيرا للرعب وتـذكر القط مـا أصابه منـه ليلة الأمـس ، فلا تزال الجروح تـؤلمه ، ولايزال يتذكره وهو يلتقطه ويرميه المرة تلو المرة . .

أثار هذا المنظر الكونت « دراكيولا» الذى لم يسبق له أن رأى قطا من قططه يثير مثل هذا الرعب. فتمتم وهو فى مكانه:

ـ الآن . . لقد فهمت . .

وسقط القط بعيدا وبدا كأن عليه أن يستسلم تماما . بينما ردد «دراكيولا » من جديد:

ـ حدثنى من أى مقبرة خرجت لى . .

بدا « حب حب» كأنه يعود للسيطرة على الموقف، فقد رسم كل شىء بدقة متناهية، وهاهو صقره الذى كان ينتظر فى ركن من الغرفة قد تصرف فى الوقت المناسب. علق « حب حب» بينما الصقر لايزال يرفرف فى الغرفة:

ـ لسنا من المقابر . . بل نحن من الحياة . .

رد « دراكيولا» : الحياة ، إنها شىء مرعب . .

سأل « حب حب» : ولهذا ترسل قططك لتقتل الناس فى المدينة . .

رد « دراكيولا» : نحن لانقتل . . بل نعطيهم شرف أن يكونوا من مصاصى الدماء .

وبرقت عينا «حب حب» فقد أحس بمدى فداحة الخطر الذى

يمثله « دراكيـولا» فى هذه البقعة مـن الأرض ، إنه يختطـف البعض مـن أجل أن يحولهم إلى مصـاصـى دمـاء . وبدأت بعـض الأمـور الغامضة تتكشف أسرارها ، فلاشـك أن غياب « أدهـم» من مكان حراسته يفسر مايقـوله « دراكيـولا» الآن . . ردد «حب حـب» فى شرود :

ـ شرف . ؟!

رد « دراكيولا» بطريقة ركيكة وكأنه يحاول جذب « حب حب » إلى صفه :

ـ طبعا . . مـا أنبل أن تكون مصاص دمـاء . . تعال معنا . سوف أجعلك أميرا صغيرا فى عالمنا الشرير .

هز « حب حب» رأسه وكأنه اقتنع بالفكرة وسأله :

ـ أمير . . هل لديك إمارة؟

رد « دراكيـولا» : هل نسيـت أننى كنـت أميرا رومانيـا . . الآن أفكر فى بعث هذه الإمارة . ولذا أتينا منذ أسبوع بواحد من العسكر المتميزين . .

تساءل « حب حب» : من . . العريف « أدهم» .

هز « دراكيـولا» رأسه وهو يقترب من « حـب حب» : بدا كـأنه

يشحذ أنيابه من أجل أن يغرسهـا فى عنق « حب حب» وهو يقول له :

ـــ مـــارأيـــك أيها الأمير أن نسميـــك . . الأمير « دراكيــولا الصغير» ، ما أحلى هذا الاسم ! !

(٢٤)

بدا « دراكيولا» كأنه يحاول استمالة « حب حب» ليصبح صديقا له . وأن يـدخله إلى عالم مصـاصى الدمـاء ، ومثل هذا الأمـر يبدو سهلا للغـاية بالنسبة لـدراكيولا. فليس عليه سـوى أن يقترب من ضحيته ويغرس أنيابه فى عنقه ويمتـص دمها ، وهذا وحده كفيل أن يحول الضحية إلى مصاص دماء .

فى تلك اللحظة ، سمـع « حب حب » أصواتـا مثيرة للرعب ، فقد انطلق من مكـان قريب مواء متوحش للقطـط المفترسة لدرجة أن «حب حب » قد تصور أن موجات من القطط تزحف بقوة نحو الغرفة ، فتساءل فى فزع :

ـ ماهذا . . ؟

رد « دراكيولا» فى ثقة شديدة : إنها جوعانة . . ومحبوسة . .

تساءل « حب حب » هل كانت فى غرفة الخفافيش؟

أجاب « دراكيولا » : بل هى الخفافيش . . فالقطط تتحول فى النهار إلى خفافيش ، وفى الليل تصير قططا .

وراح « حب حب » يسترجع ذاكرته مرة أخرى ، فقد هاله ذلك العدد من الخفافيش عندما دخل تلك الغرفة ، ولم يكن يتصور أنها القطط المفترسة ورغم ذلك فقد أحس بخطورتها فأغلق عليها الباب بعد أن سد النوافذ حتى لا تطير إلى الخارج ثم ، أحكم غلق الباب بواسطة برمجة اليكترونية قام بها الكومبيوتر الخارق .

لم يفت « حب حب » أن يشير إلى القط الجريح ، وسأل وقد تعمد أن يكشف « لدراكيولا » أنه يعرف السر:

ـ هذا القط . . ؟

رد « دراكيولا » بنفس الطريقة الرقيقة : لقد كان جريحا . . ونام فى تابوتى . .

توقف « دراكيولا » عن الكلام ثم أدار وجهه نحو « حب حب » وقد بدأت عيناه فى اللمعان بينما كان القط ماثلا بين قدمى صاحبه وردد وقد بدا الشر والغدر فى ملامحه :

ـ يجب أن تخرج القطط . . وإلا . .

أحس « حب حب » أن مصاص الدماء يهدده خاصة أن

الاثنين قد وقفا متقابلين كأن كلا منهما يستعد أن يسقط الآخر عند أول بادرة. راح « حب حب » يتماسك وهو يتوقع أن يفعل «دراكيولا» أى شىء يمكنه أن يسيطر به على الموقف. كان يعرف أن الصقر قد يتدخل لكن يبدو أن « دراكيولا» رجل شديد الدهاء. كانت أصوات خربشة القطط قد زادت، وارتفعت حدة موائها كأنها سوف تحطم الباب الخشبى الضخم. هنا أكمل « دراكيولا» وهو يناغم كلماته:

ـ سوف تقرض الباب.. ستأكله..

إنه يخيفه بلاشك.. رغم أن أصوات الأسنان القارضة يؤكد أن القطط المفترسة بالفعل بدأت فى غرز أنيابها الحديدية فى الباب الضخم، وتحاول أن تقرضه كى يمكنها الخروج وبينما علت الأصوات، وبينما « حب حب» فى قمة إحساسه بأن عليه أن يعلن استسلامه. ردد « دراكيولا» :

ـ سننتهى منه فى دقائق.

(٢٥)

وفى نفس اللحظات التى غرزت القطط السوداء أنيابها القوية فى الباب الخشبى، كانت سيارات فرقة الإنقاذ تخترق دورويا وعرة

نحو أعلى الهضبـة ، لم يكن الطريـق صالحا لمرور أى سيارة خـاصة عندما قابلهم جسر قديم بين هضبتين متقابلتين .

تأكد الضابط « صاروخـان» أن أحدًا لايمكنه أن يمر فوق هذا الجسر الخشبى المهشـم ، ورجّح أن القطـط قد أصابتهـا حالـة من التوحش لأنها تعيش فى منطقة جبلية لايسكنها أحد .

كانت « حبيبة» قد استيقظت مـن نومها العميق بعد أن لكزتها صديقتها «فاطمة» فتوقف صـوت نومها المزعج على الفور. تنبهت إلى الليـل مـن حولها . وإن الفـرقـة قـد تـوقفت . رأت الضـابـط «صاروخـان» يقف عنـد طرف الجسر وهـو يفكر، كـان يدقـق فى المكان وكـأنه يبحث عـن وسيلة للعبـور. ولكنه عاد بعـد قليل إلى السيارة . وقال لمساعده . .

ــ القطط قد تمر من هنا . . لكن لايمكن لشخص أن يمر . .

نظرت إليـه فى اهتمام رغم أنها لم تفهم كلمـة واحدة ممـا يقول : فكرت فى ابـن عمها . ذلك المغامـر الطائش الذى يطير فـوق مثل هذه الأماكن بطائرته ، فراحت تلوح بيديها كأنها تطلب من الضابط أن يستعين بطائرات مروحية . رفع يده فى استحسان وردد :

ـ ليس أمامنا سوى الاستعانة بطائرات من الجيش . .

صفحة فارغة

وراح يتصل بواسطة تليفون لاسلكى مع قيادتـه وطلب إرسال أربع طائرات مروحية متطورة ثم عاد ليتأمل الجسر، أحس أن العالم ينتهى عنـد هذا المكان. وأن عـالما آخر غـامضا يبدأ عنـد الطرف الآخر، رغم عدم وجود أى دلائل مـن الحياة هناك. لكن يكفيه أن القطط موجودة عند الطرف الآخر من الجسر.

اقترح أحد رجال العمليـات الخاصة أن يقوموا بـإصلاح الجسر بتركيب آخـر إلى جواره فهذا دورهم ، لكـن الضابط «صـاروخان» تردد فى الموافقة قائلا:

ــ الخطر قادم من الأرض..

كان يحس أن الهضبـة التى وراء الجسر تتضمن مئـات الشقوق التى تعيـش فيها القطط المتوحشـة وأنها سوف تخرج من هنـاك كى تحاصره، ورجـاله، ولأنها قطـط متـوحشـة وشرسة سريعـة الحركـة وبالغة القوة، فإن ظهورها فى هذا الظلام الدامس يمكن أن يشكل خطرا حقيقيا على رجاله.

كانت لحظات عصيبة على كل من السيارات ومن فيها خاصة «حبيبة» التـى جاءت للبحث عن ابـن عمها الذى لاتعـرف أين يكـون الآن، وأيضـا « فاطمـة» و«عمـرو» اللـذان جاءا مـن أجـل

البحث عن أبيهما الذى اختفى ولايعرفان أين هو، فاعتقدا أن القطط قد اختطفته إلى مكان مجهول . .

ووسط هذه اللحظات العصيبة ، راحوا جميعا ينتظرون الطائرات المروحية .

(٢٦)

صاح « حب حب » فى داخل غرفة « دراكيولا» محاولا أن يلحق بالوقت قبل فوات الأوان :

ـ ألست أنا الأمير. ؟ إذن يجب أن تكون لى سلطاتى . . واقتراحاتى . .

أحس « دراكيولا» أن «حب حب» يحاول أن يمارس ذكاءه عليه فابتسم قائلا :

ـ ليس من العدل أن يفكر رجل فى الخمسمائة من العمر مع صغير فى مثل سنك .

تراجع « حب حب» قائلا :

ـ وهذه القطط ، إنها تزعجنى . .

رد « دراكيولا» : تعال لتشاهدها معى وهى تخرج من الأبواب ثم

تنطلق إلى الحقـول تملؤها الحيـوية ، ثـم وهى تعود بعـد أن ارتوت بالدماء .

قال « حب حب» : الدمـاء . . يالها من أشياء بشعة . . لماذا لانقدم لها لبنا؟

ثم سكت ولاحظ أنه يحاول أن يتحرك بشكل لافت للنظر. كان من الـواضح أن القطـط سوف تتمكـن خلال لحظـات من خـرق الباب بـأكمله والخروج منـه كي تنطلـق حسب أوامـر سيدهـا إلى الوديان ، ومنها إلى مدينة «تيرانا» لاختيار ضحاياها الأبرياء .

سأل « حب حب» مكملا استفساراته :

ـ لكـن كيف لـرجل طيب مثلك أن يقتنـى مثل هـذه القطط وكيف تحولت إلى وحوش مفترسة؟

رد « دراكيولا» ببرود شديد :

ـ كـل شيء سهل عنـد « دراكيولا» . . يكفى أن تمسك القط هكـذا . . وأن تحنو عليـه بـأصابعـك فيستسلـم لـك تمامـا . . ويـرضخ . . ثم بعد ذلـك تقبله . . وبسهـولة تضـع أنيابـك فى رقبته . . هكذا . .

كان أثناء كـلامه يقترب من « حب حب» ببطء شـديد . . ثم

فجأة هجـم عليه ، لكن « حب حـب » تراجع إلى الـوراء وقبل أن يهجم الصقر على الرجل سقط « حب حب» فوق الأرض ، وفجأة أيضا وجد نفسه معلقا فى الهواء بواسطة حبل .

لم يعرف « حـب حب» كيـف حدث كـل هذا ، لكـن قبل أن يتدخل الصقر ، صاح « دراكيولا» آمرا قطه الشرس الجريح :

ـ افترس هذا الصقر. اقتله . .

ووقع القـط فى حيرة فقد أصابت الصقـر حالة من الهيـاج وهو يرى الموقف ينقلـب فجأة . وصديقه «حـب حب» معلق فى الهواء ممسكا الكومبيـوتر الخارق بيده، والذى كاد أن يسقـط منه لولا أن «حب حب» بدا كأنه يتوقع مثل هذه الألاعيب الخطرة .

لم يتمكن القط من مهاجمة الصقـر الذى حاول أن يلتقطه مثلما فعل فى المرة السـابقة كـى يفترسه بـدوره ، بينما نظر « دراكيـولا» إلى الصقر فى دهشة وإعجاب ملحوظين، وقال :

ـ أنـت صقر رائع . . سوف تكـون أول طائر مـن نوعه يـدخل إمارة مصاصى الدماء . .

صاح « حب حب» وهو فى مكانه :

ــ ياسيد « دراكيولا . . ألست أميرك الصغير؟

نظر إليه بعينى المنتصر قائلا :

ـ لاتحاول استمالتى الآن . . جاء دورك ودور صقرك الآن . .

(٢٧)

أحس « دراكيـولا » أنه قبـل أن يحول الصقر إلى طـائر مصاص دماء يجب حسم مسألة شراسة تلـك القطط المفترسة التى أوشكت بـالفعل أن تنفـذ من البـاب الخشبى بعـد أن نجحت فى إحـداث ثغرات فيه على مراحل بأنيابها الشرسة .

ولذا سرعان ماخرج من الغرفة تـاركا الصقر يواجه القط حيث اعترى كلا منهما غضب ، وراحا يصرخان كل على طريقته ، وصل «دراكيولا» إلى الغرفة المجاورة فى الوقت المناسب .

كان أول قط يكاد أن ينفذ برأسه مـن فتحة الباب التى أحدثتها القطط وراحت عينـاه تلمعان بسلطانه على القطـط . لكن القطط الغاضبة بدت كأنها تصورت أن سيدها قد قام بحبسها فى غرفتها ، وأنه يمنعهـا الآن من الخروج رغم حـاجتها الشديـدة للهجوم على الضحايا .

رفـع « دراكيولا » يـديـه إلى أعلى وقد تجمـدت مـلامح وجهـه

وبرقت عيناه ، فأحس القط بالتخاذل وسحب رأسه من الفتحة ثم عاد مرة أخـرى إلى داخل الغرفة لقـد أطاع أمر سيده ولكنـه عندما دخل إلى زملائه كان الغضب تملكهم فراحوا يتكدسون نحو جدار الباب ، وبدوا كأنهم يعرفون الأمر من زميلهم . ثم قاموا معا وقرروا أن يفعلوا شيئا .

سرعان مـاصنعوا كتلة واحـدة من أجسادهـم القوية وانـدفعوا نحو الحائط المقابل للباب ثم اندفعوا بكل قوة نحو الباب يحطمونه وسقطـت كتلتهم فى الفنـاء الـواسع ، أسفـل قـدمى « دراكيـولا» مباشرة الذى اعتراه شعـور بالغضب الشديد ، فهـذه القطط تنوى التمرد عليه ، وهاهى قد حطمت الباب وتكومت استعدادا لمجابهة خطرة .

ولأول مرة فى حياة أمير الظلام « دراكيـولا» يحس بالفزع والخطر فهذه القطط المتـوحشة قد عرفـت مدى ماتتمتع بـه من قوة ، وأنها يمكن أن تهزمه فى أى لحظة ، لمعت عيناه الحمراوان وارتسمت على وجهه ملامح الغضب العارم ، ورفع أصابعه إلى القطط مشيرا إليها أن تعود من جديد من حيث أتت :

إنها لحظات عصيبة على كلا الطرفين .

فلو أن القطط رفضت العودة فإن ذلك يعنى أنها تتمرد عليه وأن مواجهة شرسة سوف تحدث بين الطرفين ، قال فى غضب :

ـ ورائى مهمة حساسة ، لاخروج هذه الليلة .

نظرت إليه القطط فى غضب ثم فى لامبالاة . يبدو أنها لم تشأ أن تحدث المواجهة بمثل هذه السرعة . وفجأة ظهر زعيم للقطط بدا كأنه يقود عشيرته ، وبكل خيلاء راح يتحرك نحو السلم وهو ينوى أن يتجه إلى خارج القلعة من أجل القيام بحملته الليلية المعتادة .

وصدم « دراكيولا» عندما شاهد بقية القطط تمشى وراء زعيمها الجديد وأحس « دراكيولا» أن كل قوته وسلطانه قد سُحبت منه . ورأى القطط تنزل السلم مجتمعة ثم سارت نحو « الباب» ، وأحس «دراكيولا» أنه سوف ينتهى كأمير للظلام لو خرج قط واحد من القلعة خاصة هذه الليلة ، لذا صرخ بأعلى صوته وقد امتلأ صراخه بالتهديد :

ـ ارجعوا . . وإلا ستكون العواقب جسيمة .

(٢٨)

قبل أن يلتفت « دراكيولا» ليعود إلى غرفته فوجئ بالقط الجريح

يهرول من بين قدميه ، ويسرع نحو زملائه الذين يستعدون للخروج من بوابة القلعة .

إذن لقد انفلت الزمام تماما من يدىّ « دراكيولا» ولم يعد أمامه سوى أن يسرع نحو بكرة ضخمة ، فراح يشد طرفها فدارت حول نفسها بسرعة وسقط الباب الحديدى وسد الطريق على خروج القطط .

وما إن وجدت القطط الطريق أمامها مسدودا حتى تجمعت معا وحاولت أن تجد وسيلة للخروج ، ولأن الأمر ليس سهلا هذه المرة فباب القلعة ليس من الخشب مثل باب غرفتها ، لذا التفت القطط إلى حيث يوجد سيدها السابق « دراكيولا» ولمع الغضب فى عيونها ، وأطلقت مواءها العالى كأنها تعلن عن تهديدها الأخير له أن يفتح لها البوابة .

هنا كان كل شىء قد وصل بين الطرفين إلى طريق مسدود ووقف « دراكيولا» بأعلى يرقب مايحدث ، فتحت القطط أفواهها وبرزت بداخلها الأنياب الشرسة وسمع المواء المتوحش . . وبدا كأنه يود أن يكشف لهم عن قوته ، فأراد أن يفتح فمه ويهددهم بأنيابه مثلما تفعل لكنه اكتشف أنهم أكثر وحشية منه .

وفى لحظات بدأ زعيم القطط يتحرك نحـو السلم كأنه ينوى أن يشعل الحرب ضد سيده السابق وأن يسيطر على القلعة . هنا أحس «دراكيولا» بالخطر الحقيقى . إنه أول خطر يواجهه منذ أن قام بتربية هذه القطط وجعلهـا من المخلوقات مصـاصة الدماء على شـاكلته وأراد أن ينشئ بواسطتها أول عالم متكامل لمصاصى الدماء .

وما إن وصل زعيم القطط إلى أول السلم حتى ارتجف «دراكيولا» وقرر أن يهرب فليسـت هناك وسيلـة للتفاهـم بين الطرفين ، وأسرع ينظر إلى ساعة الحائط القديمـة المعلقة قريبا منه . إنها تشير الآن إلى الواحدة والنصف صباحا ، أى إنه لايمكنه أن يعود إلى تابوته . .

أسرع إلى غرفته وأغلق الباب ، وهو يتنهد ثم نظر إلى السقف ، وكأنـه يبحث عن شىء . واكتشـف فجأة أن « حب حـب» ليس موجودا فى مكانه . . صاح :

ـ أيها الفتى . . أين أنت . ؟ الجو خطر علينا معا . .

بدا كأنه يحاول أن يستنجد بـ «حـب حب» أن يساعده . ليس بـاعتباره أميرا منتظـرا ولكـن لأن الشخص الـوحيـد الذى يمكنـه الوقوف إلى جانبه كان قد اختفى من الغرفة ، لكنه عندما رفع رأسه إلى أعلى السقـف رأى الصقـر وبـأعـلاه « حـب حـب» فصاح «دراكيولا» فى فزع :

ـ أيها الفتى حاول أن تقف معى . .

وأحس « حب حب » أن الأمر خطير للغاية .

(٢٩)

سرعـان مانـزل الصقر « رف رف » فـوق الأرض فلمعت عينـا «دراكيولا» وقال :

ـ القطط سوف تهاجمنا .

لم يتصور « حب حب » أن الرجل يمزح أو أنه يوقعه فى شراك ، فهل يمكن للقطط أن . تهاجم سيدها؟ بدا مندهشا لكن يبدو أن «دراكيولا» لم يجد وقتا للدهشة فقال :

ـ سوف يحطمون هذا الباب وينهشوننا . .

سأل « حب حب » : وماذا لدى أن أعمله . ؟

رد « دراكيولا » : المرآة . . أليست معك مرآة . . ؟

وبدا كأنه يتدارك الأمر وقال : وهذا الكتاب الذى كان معك . .

هتف « حب حب » وهو يخرج المصحف من ملابسه : هذا . . إنه قرآن كريم . .

أبعد « دراكيولا » رأسه ، وكأن الكتـاب يمكن أن يؤذى الشرير الذى بداخله فقال غاضبا :

ـ ابعده عنى . . إنه يكاد يحرقنى . .
ببساطة رد « حب حب» : ألم تطلبه منى أنت ؟
فى عصبية واضحة قال : لم أطلبه لنفسى بل لمواجهة هذه القطط . .
أحس « حب حب» أن الأمور عادت للسير إلى جانبه رغم كل الخطر الذى يحدق به بل بالاثنين معا ، فقال :
ـ ولماذا لاتؤمن به . ؟ إنه يمكن أن يحفظك . .
فى غضب شديد قال « دراكيولا» : أنا مصاص دماء . . أعيش منذ خمسة قرون . . وهذا الكتاب لايحفظنى . .
قال « حب حب » رغم أنه أحس بأن القطط قد اقتربت من باب الغرفة المغلق : .
ـ ولماذا تمتص الدماء . . قلت لك جرب اللبن فهو مستمد من لبن البقرات . . وكأنه أحس أن « حب حب» يساومه لذا قال :
ـ هات لبنا وأشربه لك . . المهم أن توقف هذه القطط المتوحشة . .
وأحس « حب حب » بارتياح . ليس لأن « دراكيولا» قد وافق على شرب اللبن ، بل لأنه يعرف مدى أهمية القرآن الكريم لدرجة أنه يطلبه لمواجهة هذه القطط الشرسة مصاصة الدماء . . كما أحس بالسعادة لأن « دراكيولا» قد دله إلى طريقة مناسبة لمواجهة

صفحة فارغة

هذه القطط التى طالما فكر فى وسيلة مثلى لمواجهتها .

ضم « حب حب» المصحف الشريـف إلى صدره . ثم رفعه إلى أعلى وفرد ذراعيه نحو الأمام كأنـه يستعد لإشهاره فى وجوه القطط التى راحـت تخربـش البـاب ، وهى تستعـد لتحطيمـه ثـم قـال لدراكيولا:

ـ الآن . . افتح الباب . .

(٣٠)

إنها تقرض الخشب بوحشية وكأنها مصابة بسعار لالتهام الباب فى دقائق قليلة ، وتموء أيضا بنفس الـوحشية ، كأنها تستعرض قوتها أمام سيدها السابق قبل أن تدخل عليه الغرفة وتفتك به .

لكن فجأة فتح الباب على مصراعيه .

وفوجئـت القطط «بدراكيولا» يقـف خلف الصبى الذى يـرفع كتابا كريما نحوهم .

وكانـت مصادفة غير متـوقعة ، فها هـو أمير الظلام يبدو كـأنه يحتمى بصبى ، وكأنه يخشى أن تفتـك به القطط الغاضبة ، أرادت القطط أن تقفز وراء زعيمها نحو الاثنين ، وخاصة أن القط الجريح قد وجـد أن الفرصة متـاحة كى ينتقم مـن الصقر الذى يـرفرف فى منتصف الغـرفة غاضبا . لكن فجأة تراجعـت عندما بـدأ « حب

حب» يوجه المصحف نحوهم، وراح يتمتم بآية الكرسى وقد بدا ثابتا غير خائف ، بينما هتف « دراكيولا» :

ـ رائع . . أنت رائع يا . . .

اكتشف أنه لم يعرف اسمه حتى الآن فسأله :

ـ لكن ، ما اسمك يافتى . ؟

لم ينطق « حب حب » بكلمة فلم يكن قد انتهى بعد من قراءة آية الكرسى ، بينما توقفت القطط كأن قوى غريبة قد أوقفتها فجأة وتراجعت عن الهجوم ، فى تلك اللحظات رفرف الصقر وهو يستعد أن يكشف عن قوته ، وخاصة أنه حلق قريبا من الباب كأنه يستعد أن يلتقط القط الجريح الذى وجد نفسه من جديد يتراجع ، ويزحف وسط أقرانه ثم يقف فى نهاية الكتلة القططية .

صاح « دراكيولا» فجأة :

ـ ادفعهم . . عد بهم إلى غرفتهم . . يجب أن تحبسهم .

وأحس « حب حب» أنه مقبل على نقطة حاسمة فى مغامرته بأن ينتقل من حالة الدفاع إلى مرحلة الهجوم ، فدراكيولا يود أن يجمع هذه القطط فى مكان واحد كى يحبسهم من جديد، رغم أن باب غرفة القطط قد تحطم تماما وأصبح غير صالح بالمرة فقال :

ـ هذه الغرفة مناسبة . . يجب أن نتصرف قبل أن يمر الوقت .

أحس كأنه يثير الحماس فى قلبه، وشعر « حب حب» بارتياح

شديد، فهاهو « دراكيولا» الذى يعتبره الناس أمير الرعب فى العالم قد تحول إلى كائن مسالم يطلب منه المساعدة. هنا تحرك « حب حب» خطوة واحدة نحو الأمام وهو لايزال يشهر المصحف الشريف فى وجوه القطط .

وكانت المفاجأة ، فقد تراجعت القطط قليلا. وسرعان ماتحركت خطوة أخرى. وبدت القطط كأنها تحولت إلى كائنات مفترسة ، أو كأنها فى سيرك عليها أن تمتثل لأوامر مدربها ، وهنا صفق « دراكيولا» فى إعجاب شديد وقال :

ـ أنت أقوى من أمير الظلام . سوف أعطيك كل ما أملك . .

هنا طرأت على ذهن « حب حب » فكرة جنونية ، فمد يده اليسرى نحو « الكومبيوتر الخارق» بينما ظل يرفع المصحف الشريف بيده اليمنى وضغط على زر فانطلق نباح الكلاب .

وهنا انطلق مواء القطط الغاضبة كأن نباح الكلاب قد فتح شهيتها لافتراس خصومها اللدودين ، وبدا كأن « حب حب» قد تصرف بشكل خاطئ .

(٣١)

إنها لحظات عصيبة على الطائرات الحربية التى تحلق فى الجو . .

فلم تستطع الطائرات أن تحدد مكانا بعينه يمكن أن تهبط

فيه . . فليس هناك أى دلائل تشير أن « حب حب» موجود هنا ، فالقلعة مختفية تماما أسفل الأشجار الخضراء وليست هناك أى أضواء يمكن التأكد بها أن هناك سكانا فى هذه المنطقة ، ولكن الضابط « صاروخان» قال كأنه يتحدث إلى « حبيبة» التى كانت إلى جواره :

ـ أنا متأكد أن « حب حب» هنا . .

لم تفهم « حبيبة» كلمة واحدة مما قاله الضابط ، لم تنتبه إلى ماقاله ، ولكنها كانت تدقق فى المكان أسفلها ، فقد أحيط المكان بظلام دامس . فجأة رأت شيئا يلمع ، لكنها قامت بغتة بسد أنفها وتمتمت :

ـ يالها من رائحة . !!

فتنبه الضابط إلى الرائحة التى تفوح فى المكان ، ونظر إلى الطيار قائلا :

ـ إنها نباتات الخشخاش . . لقد استغل المهربون هذا المكان البعيد لزراعته . يجب أن نهجم على المكان ونسيطر عليه .

وسرعان ماراح يتصل بمقر قيادته وأبلغهم أنه اكتشف وجود مكان بعيد عن التوقعات مزروع بنبات الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون وبعض المخدرات الضارة للإنسان ، وجاءت الأوامر أن يتخلى مؤقتا عن البحث عن « حب حب » للإيقاع بالمهربين .

فى تلـك اللحظات تنبهـت « حبيبـة» من جـديـد إلى بقعة الضـوء الصغيرة التـى تنبعث مـن بين الأشجـار، فـأشارت إلى الضـابـط «صـاروخـــان» وكـأنها تنبهـــه أن هنـاك شيئـــا آخـر غير رائحـــة الخشخاش .

فى البدايـة لم ينتبه الضـابط إلى الضوء ، لكنـه لمحه ، وبـدا كأن شخصا يحاول أن يستلفت انتباههم إلى شىء ما . . هنا صاح :

ـ إنها إشارة من رجل شرطة . .

وراح يفكر فى هذا الأمر فكيف أمكن لشرطى أن يصل إلى هذه البقعة البعيدة ، دقـق من جديد وطلب مـن الطيار أن يقترب أكثر وأكثر ، ثم هتف :

ـ إنه أدهم . . بالتأكيد . .

ودبت حالة من الفرح داخل الطائرة المروحية التى يجلس بها كل من الضابط و«فاطمة» و«عمرو» و«حبيبة» ، لم يصدق الصغيران أن أباهما على قيـد الحياة . فـراحا يهللان فـرحا ، بينما اقتربـت الطائرة أكثر إلى منطقة الأشجار الكثيفة . .

وكان على الطائرة أن تخترق تلك الأشجار بأقل خسارة ممكنة .

(٣٢)

كان « حـب حب» قد أطلـق نباح الكـلاب من « الكومبيـوتر

صفحة فارغة

الخارق» من أجل معرفة مدى قدرته على السيطرة على تلك القطط مصاصة الدماء، وليدة الشر الذى زرعه فيها « دراكيولا» .

فى البداية انطلق المواء كأنه الزئير، فالقطط لديها شهية غريبة لالتهام الكلاب ، ولكن «حب حب» راح يفرد المصحف الشريف فى مواجهتها وتمتم من جديد بآية الكرسى وسمع «دراكيولا» يقول :

ـ أنت مدهش يا . .

واكتشف من جديد أنه لايعرف اسمه . هنا علق « حب حب» وقد بدا شديد الثقة فى نفسه :

ـ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقومْ . .

رد « دراكيولا» : لقد أثرت غريزتى لقراءته . .

ود« حب حب» أن يخبره أنه كى يفعل ذلك فعليه أن يتخلى عن مص الدماء ، وأن يتخذ من اللبن بديلا صحيا ورائعا بحيث يمكنه أن يعود مرة أخرى إلى حالة البشرية مثلما كان يوما قبل قرون، ولكن ليس هذا وقت الحديث، بل هو لمواجهة القطط الشرسة التى بدأت تتراجع إلى الخلف . كان هم « حب حب» هو السيطرة عليها ثم أن يجمعها فى مكان مناسب ، وأن ينتظر حتى يسطع ضوء النهار. وتشرق الشمس . فتعود إلى هيئتها الأخرى : «الخفافيش» ، وفى هذه الحالة يمكنه السيطرة عليها بسهولة .

وتراجعت القطط بينما تقدم « حب حب» وسار « دراكيولا»

وراءه يهلل له، ويعبر عن استحسانه لما يحدث وهو يردد:

- ترى كيف يكون طعم اللبن؟ لقد شوقتنى إليه . .

لم يعلق « حب حب» فقد أحس أن وراءه مهمة عسيرة، ووجدت القطط نفسها تدخل غرفتها مرة أخرى من الفتحة التى أحدثتها قبل قليل حيث بدأ الواحد منها تلو الآخر يمر من الفتحة، وهو يموء بصوت غريب كأنه يتحسر على النهاية.

إنها تشعر بالجوع وتتعطش إلى الدماء، ولكنها تعود. منصاعة إلى غرفتها، ردد «دراكيولا» فى ارتياح:

- لو أصابها الجوع أكثر، فقد تبدأ فى أن تأكل نفسها.

علق « حب حب» :

- أتمنى أن تشرق الشمس قبل أن تأكل بعضها . .

اكتشف « حب حب » أن القط الجريح قد بقى مكانه، فاقترب من سيده وحاول أن يتمسح به كأنه يعتذر له عما بدر منه، لكن «دراكيولا» رفسه بقوة، وقال فى غضب:

- لقد نمت فى أحضانى بالأمس . ولم تصر خفاشا . . ومع ذلك خذلتنى . .

وأطلق القط الجريح مواءه فى تذلل وانسحب ، وهو يطلق صوتا يثير الرثاء فعبر الفتحة، ودخل إلى غرفته وبدأ «حب حب» يحس أن الوقت يلعب دورا هاما فى حسم تلك المواجهة الغريبة مع

تلك الحيوانات الشرسة .

فى تلـك اللحظات كـان «دراكيولا» يقـف وراء « حب حـب» وراح يرقب عنقه فلمعت عيناه فى جنون .

(٣٣)

بدا « دراكيولا» كأن جنـون مص الدماء قد استبد بـه مرة أخرى عندما اقترب من «حب حب » وفتح فمـه وكشـف عن أسنانه كأنه يريد أن يغرسها فى عنقه ، وردد :

ــ لقد فقدت قططى . كى أكسبك .

وفجأة انقض الصقـر من أعلى ، إنه يتحرك دومـا عندما يقترب الخطر، فتراجع «دراكيولا» من الخلف ، وأغلق فمه بصعوبة شديدة وتمتم :

ـ اعطنى لبنا وإلا سوف أموت .

التفت إليه « حب حب» ورآه وقـد سقط فوق الأرض ، نظر إلى صقره ، أحس أن « رف رف» . قد تدخل فى لحظة مناسبة . لم يفهم ماهـى إلا عندما رأى بقايـا أنياب « دراكيولا» وهو يتكلـم فى خواء شديد :

ـ هذه القطط كانت تأتى لى بالضحايا . . الآن . .

وأحسن « حب حب» أن أمير الظلام فى حالة صراع داخلى بالغ العنـف . واكتشـف أن العثور على كوب مـن اللبـن سـوف يحل

المشكلة ، ويمكنه أن يحوله إلى شخص عادى . فما أن يتذوق طعم اللبن حتى يقبل عليه فى نهم وسيطلب منه المزيد حسب الأساطير ومايقال عـن «دراكيولا» فيمكنه أن يعود إلى صـورته الأولى ويعرف الموت الذى طالما حرم منه .

قال « حب حب » :

ـ هل تنتظر قليلا حتى تشرق الشمس ؟ أم هل تـأتى معى إلى المدينة؟

رد «دراكيولا» وقد بدأ الوهن يظهر عليه :

ـ سوف تحرقنى الشمس . . هات لى لبنا بسرعة . .

قال « حـب حب» : ليس أمامى سوى أن نذهـب إلى المدينة معا . لكن هذه القطط .

كـان على « حـب حـب» أن يسيطـر على القطـط حتـى تشرق الشمس ، وفى نفس الوقت عليه أن يصحب « دراكيولا» إلى المدينة ليوفر له لترا من اللبن كى تكون فرصته الأخيرة والنادرة فى أن يصبح إنسانا عاديا . . ويفقد شهوة مص الدماء إلى الأبد . .

قال « دراكيولا » :

ــ ضع هـذا الكتاب الشريـف فوق هـذا المقعد فهـو سيمنع القطط من الخروج .

وسرعان ماأتى له بمقعد وضع فوقه المصحف ، وقال :

ـ سوف تسقط الشبكة عليهم فى الصباح . . وسيتكومون كخفافيش أسفلها .

ثم داس على البكرة كى ينفتح باب القلعة الحديدى ، وأصبح عليهما الخروج من أجل سرعة الذهاب إلى المدينة ، فنزل الاثنان السلم الخشبى واتجها نحو باب القلعة ، بينما انطلق الصقر وراءهما ثم نفذ من الباب الضخم واستعد للطيران . .

وهناك كان على « حب حب » أن يجهز كل شىء من أجل الطيران نحو المدينة ، فقد أحضر له الصقر حقيبته وراح يقوم بتجهيزها للطيران ، وكان على الصقر أن يرفع « دراكيولا » العملاق بين مخالبه كى يطير به وسط الليل .

وقبل أن يرتفع الصقر فى الهواء ، وهو يحمل العملاق انطلقت الرصاصات من كافة الأنحاء .

(٣٤)

وسقط « دراكيولا » من أعلى إثر إصابته برصاصات رجال شرطة « تيرانا » . . وسرعان ما ظهر الضابط « صاروخان » الذى صنع مع رجاله دائرة حول العملاق المتمدد فوق الأرض .

لقد تم كل شىء بسرعة بعد أن تمكن رجال الفرقة الخاصة من محاصرة المكان ، فقد عرفوا كل شىء من الشرطى « أدهم » الذى

حدثهم عما حدث له منذ أن قرر مطاردة القطط التى هاجمته فانطلق وراءها فى الليل، وهو يحمل فرعا أخضر من نبات الثوم حتى تاهت منه، فقرر مواصلة الطريق إلى أن عثر على هذا القصر، وبقى يومين يحاول دخوله وحكى أنه شاهد القطط تخرج بالأمس، لكنه لم يشاهدها تخرج هذه الليلة، كما حكى للضابط «صاروخان» أن فتى صغيرا جاء بطائرة يصحبه صقر، وأنه موجود داخل القلعة وردد :

ـ أرجح أنه مصاص دماء . . « دراكيولا» يعيش هنا . .

لقد قرر الضابط « صاروخان» أن يرابط مع رجاله حول القلعة بعد أن اكتشف أنه من الصعب دخولها ، فأبوابها ونوافذها صُنعت لتكون حصنا يصعب على الجيوش أن تقتحمه بسهولة .

ولكن هاهو باب القلعة ينفتح، وهاهو « حب حب» سينطلق بالطائرة بينما الصقر سيحمل « دراكيولا» . فى البداية انتظر الضابط بعض الوقت ولكن عندما كاد الصقر يحلق فى الهواء، أمر بإطلاق النيران على هذا الشخص الغريب .

رغم عدد الطلقات التى أصابت « دراكيولا» ، فإنه عندما أسرع «حب حب» وانحنى نحوه، اكتشف أن « دراكيولا» لم تسل منه نقطة دم واحدة، وفتح عينيه الواسعتين وكأنه يعاتب « حب حب» لأنه خدعه وأوقعه فى شرك غير منتظر، هنا قال « حب حب» كأنه يدافع عن نفسه :

ـ صدقنى . . أنا . .

ولم يعرف ماذا يقول . وأحس أن عليه أن يتصرف نظر إلى الضابط وقال بكل حماس :

ـ ياحضرة الضابط أرجو أن تأخذوه إلى المدينة يجب أن يشرب اللبن قبل شروق الشمس .

نظر إليه الضابط فى دهشة وكأنه لم يفهم شيئا ، فقال « حب حب» :

ـ سوف أشرح لك الأمر فيما بعد . . لكنه يجب أن يتناول جرعات كبيرة من اللبن .

قالت « حبيبة» التى كانت قد وصلت لتوها إلى المكان :

ـ الحقوا بائعى اللبن الذين يخرجون مع صلاة الفجر .

وأحس الضابط بالحيرة ، بينما شرد « حب حب» فى أمر آخر عليه أن يطمئن إلى أنه سيتم فى موعده ، فقال مرة أخرى :

ـ أرجوك ياحضرة الضابط . . الأمر خطير . والأمير «فارد » فى حاجة إلى اللبن .

وأحس الضابط أن مايقوله « حب حب» هو أكثر الأمور التى سمعها فى حياته غرابة .

صفحة فارغة

(٣٥)

وانطلق داخل القلعة بعد أن اطمـأن أن كل شيء قد سار على مايرام . .

فقد تناول « دراكيـولا» خمسة لترات من اللبن الطـازج فى جرعة واحدة ، ذلك اللبن الموجود فى طائرات العمليات الخاصة من أجل إطعام الجنود والضباط . لقد استعد بطعـم اللبن وبدأ يسترد قوته وأحس أن الـدماء تسرى فى جسده مـن جديد ، ربما لأول مـرة منذ قرون ، فتنهـد فى ارتياح ثم أغمض عينيـه كأنه يريـد أن ينام ، ربما للابد وربما لساعات قليلة . هنا أمـر الضابط « صاروخان» بسرعة بنقل الأمير فارد ـ الكونت « دراكيولا» سابقا ـ إلى المستشفى ، وكان آخر شيء ردده قبل أن تنطلق به الطائرة قائلا لـ « حب حب» :

ـ أريد أن أقرأ كثيرا فى الكتاب الشريف قبل أن أستيقظ .

وما إن ارتفعـت الطائرة حتى انطلق « حـب حب» نحو غـرفة القطط الشرسـة يتبعه الضـابط « صاروخـان » ورجالـه من الفـرقة الخاصة . لقـد أراد « حب حب » أن يشاهـد منظرا غريبـا لم يسبق لأحد أن شاهده من قبل .

اقترب مـن بـاب الغرفـة أراد أن يـدفعـه ، لكن مـواء القطـط الشرسة كان صاخبا ، فالجوع يستبد بها وتعطشها للدماء ينعكس فى هذا المواء المتوحش . تساءل الضابط : ــ هل هذا وكر القطط . . ؟

هز « حب حب» رأسه دون أن يتكلم، ثم مد أصابعه إلى أذنه، كأنه يطلب من الضابط أن ينصت إلى تلك الأصوات القريبة التى بدأت فى الانطلاق من الداخل .

كان ضوء الفجر قد بدأ يكشف الخط الأبيض للنهار من الخط الأسود لليل، وتحاول أن تبحث لنفسها عن مكان تبيت فيه . انعكست الدهشة على وجه الضابط من جديد قائلا :

ـ إنها خفافيش . . وقطط . .

وفى الداخل بدأ مواء القطط يخبو ويختفى، وانطلقت أصوات الخفافيش التى انطلق الواحد منها وراء الآخر يطير فى سماء الغرفة، وكأنه يبحث عن مكانه الذى نام فيه بالأمس. لقد حل النهار ، وعلى الخفافيش أن تنام فى انتظار ليل جديد :

وبعد قليل، كانت كل الخفافيش قد عادت إلى أماكنها .

وعندما اطمأن « حب حب» أن كل قطط « دراكيولا» المتوحشة قد اختفت ، أشار إلى الطبيب أن يأمر رجاله باقتحام الباب دون أصوات تثير إزعاج الخفافيش التى نامت لتوها .

وتم فتح الباب الخشبى الذى سبق للقطط أن فرضت جزءا منه، وشاهد « حب حب» نفس المنظر الذى سبق أن شاهده نهار الأمس . بينما بدا الضابط مندهشا من هذا المشهد الغريب، فقال :

ـ ماهذا . . أين القطط . ؟

وبدت الإجابة فى ذلك المنظر المثير، حيث داس « حب حب» على مفتاح صغير إلى جوار الحائط، فانهالت شبكة قوية من أعلى السقف تجمعت كل هذه الخفافيش التى استيقظ الكثير منها أسفلها، وبدت الخفافيش كأنها تصرخ طالبة الغوث أو كأنها تستنجد بسيدها السابق دون جدوى.

وبعد قليل تكومت كل الخفافيش أسفل الشبكة فوق الأرض وتنهد « حب حب» فى ارتياح شديد قائلا:

ـ سيدى الضابط . . هذه هى قطط «تيرانا» المفترسة . . الآن يمكن لرجالك فتح نوافذ هذه القلعة فعندما يدخل النور تتحول كل الأشياء إلى الأفضل.

ثم سكت قبل أن يكمل: إلى الأفضل . .

رقم الإيداع: ١٩٩٦/٧٣٦٧
الترقيم الدولى: ٥ ـ ٠٣٣٤ ـ ٠٩ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة ٨٠ شارع سيبويه المصرى ـ ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)